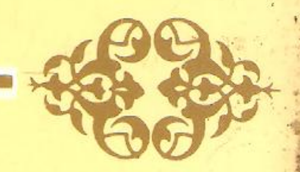
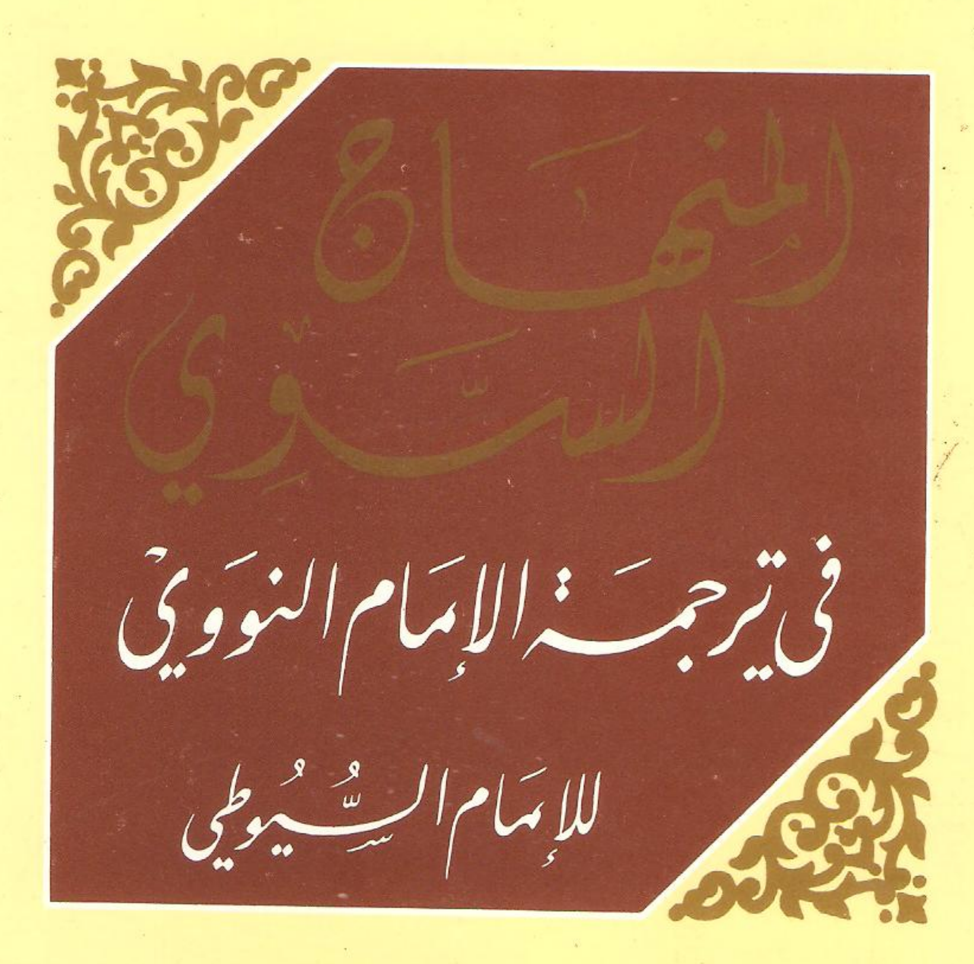




المنهاج السوي

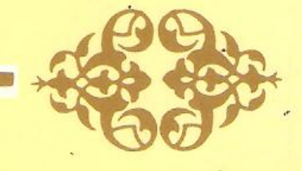
في ترجمة الإمام النووي

للإمام السيوطي

تحقيق

أحمد شفيق دمج

دار ابن حزم




المنهاج السوي
في
ترجمة الإمام النووي

الطبعة الأولى
١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

دار ابن حزم
للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - ص. ب: ١٤/٦٣٦٦

المنهاج السوي
في
ترجمة الإمام النووي

للإمام جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن السيوطي

تحقيق

أحمد شفيق دمج

دار ابن حزم

«وجرَى لي معه وَقَائِع، ورأيتُ منه أُموراً تحتمِل مُجلَّدات».

ابـن العطّـار

الإهـــداء

إلى أخي الرّاحل، محمّد علي عزّام.

جمعتنا الأُخوّة في ظلالها الوارِفة، مُذْ سَعينا معاً في مَدارج الصِّبا، فعرفتُ فيه صفاء النفس ونقاء السَّريرة وصدق المودّة. . . ثـم فارقـنا يحْدُوه الأمل باللِّقاء، فما تحقّق الرّجاء.

إلى الذي غادر الدُّنيا، ولسانُه يلْهَج بِذِكْر الأحِبَّة، وقلبُـه الغَضُّ يخفق لِلُقياهُم.

إلى روحه الطاهرة، ونفسه الراضية. .

أُقدِّم هذا الكتاب

تقدمة

الحمدُ لِلّه وحدَهُ لا شريك له، حمداً يُقَرِّبُنا إلى رِضوانِه، وصلاةُ الله وسلامُه على نبيِّه المصطفى، صلاةً تزلِّفُنا إلى جنّته. وبعد..

فقد عني المسلمون عناية بالغة بتراجم الرِّجال، على اختلاف أعصارهم وأَمْصارهم، وتنّوعِ طبقاتهم واختصاصاتهم، فأفْردوا لذلك المصنّفات الكثيرة، ووضعوا المؤلفات الزاخرة، حتى أننا لا نبالغ إذا قُلنا أنّ المكتبة الإسلاميّة هي أغنى مكتبات الأُمم بكُتُب التّراجم.

فعلى مَرّ عصور الإسلام الزّاهرة، نبغ عُلماء أجلّاء، قَبَسُوا من مِشْكاة النّبوَّة، فسطعت أنوارُهم، وسارت بمحاسِنِهم الرّكبان، واشتهرتْ فضائلُهُم في سائر البُلدان، وشُدَّت إليهم الرِّحال، وكانوا منائر لِلعِلْم، وأعلاماً للحقّ والهداية، حتى إذا ما طُوِيت صفحةُ حياتهم المُثمرة، جاء من بعدهم قومٌ أخلصوا لهم الوفاءَ، فذكروا مَحاسنهم ودَوَّنوا مآثِرهم، اعتقاداً منهم بأنّ التاريخ الحقيقيّ لكُلّ أمّة، إنّما هو تاريخ النّابغين فيها.

والكتابُ الذي بين أيدينا، يضمّ بين دَفّتيْه سِيرةَ أحَدِ أولئك الأعلام الكبار، هو الشيخ الإمام القدوة، الحافظ الزاهد، العابد الفقيه، المجتهد الرّبّاني، شيخ الإسلام، محيي الدين، يحيى بن شرف النووي كما

وصفه الإمامُ الذهبيّ، وقال فيه الإمام ابنُ كثير: «كان على جانب كبير من العلم والعمل والزّهد والتقشّف، والاقتصاد في العيش، والصبر على خشونته، والتّورّع الذي لم يَبلُغْنا عن أحدٍ في زمانه، ولا قبله بدَهرٍ طويل». وقال السّبكي: «ما اجتمع بعدَ التابعين المجموعُ الذي اجتمع في النّووي، ولا التيسير الذي يُسِّر له».

والإمامُ السَّيوطي، الذي كان من أوسع علماء عصره ثقافةً وأخْصَبهم إنتاجاً، عَرَفَ عظيمَ فضل النّووي وعلمه، وأدرك سُمُوَّ منزِلَته وعُلُوَّ شأنه، فخصّه بهذا الكتاب، عارِضاً سيرة حياته مُستقصياً فيها أخبارَه ومآثرَه ومناقبَه. وقد جمع مادّة كتابه من مخزون كتب التراجم والسِّيَر، وأكْثَرَ النَّقل عن الشيخ ابن العطّار(*) تلميذ النّووي وتُرجُمانه.

(*) هو الشيخ الإمام، الحافظ الزاهد، علاء الدين بن داود بن سلمان بن سليمان، أبو الحسن بن العطّار، الشافعي. وُلد سنة ٦٥٤ أربع وخمسين وستمائة. سمع الحديث واشتغل على الشيخ محيي الدين النووي، حتى كان يُلقَّب بمُختصر النووي. ولي دار الحديث النوريّة، ومرض بالفالج أزْيَد من عشرين سنة! كتَبَ الكثير وحمله، ودرّس، وأفتى، وصنّف أشياء مفيدة.

قال الذهبي: خرّجتُ له مُعجماً في مجلّد، انتفعت به، وأحسن إليّ باستجازته لي كبارَ المشيخة، وله فضائل.

وقال ابن كثير: له مصنفات مفيدة وتخاريج ومجاميع.

وقال غيره: هو أشهر أصحاب النووي وأخصُّهم به، لزمه طويلاً وخدمه وانتفع به، وله معه حكايات، واطّلع على أحواله وكتب مصنفاته، وبيّض كثيراً منها.

وقد وضع ابن العطار كتاباً في ترجمة شيخه النووي، أسماه: «تحفة الطالبين في ترجمة الإمام محيي الدين»، كتبه سنة ٧٠٨، وعنه نقل كلُّ من ترجم للنووي فيما بعد. (الكتاب لم يُطبع بعد، وهو قيد التحقيق كما جاء في نشرة معهد المخطوطات العربية، ومنه نسخة مخطوطة في مكتبة توبنجن).

توفي بدمشق عن سبعين سنة سنة ٧٢٤ أربع وعشرين وسبعمائة. (طبقات السبكي: ١٤٣/٦، البداية والنهاية: ١١٧/١٤، شذرات الذهب: ٦٤/٦، Brockelman g -I:85)

وبعدُ، فهذا كتابٌ جليلٌ، داني القُطوف، عذْبُ المَوْرد، نُخرِجه للقُرّاء، رجاء أن يؤدّي غرضه من النفع والإفادة.

وفي الختام، لا يفوتني أن أُقدّم خالصَ شُكري للصّديق الدكتور (فورنياس) Forneas، رئيس قسم اللغة العربيّة بجامعة غرناطة في إسبانيا، الذي أَمدَّ لي يد المساعدة حين شَرَعتُ في تحقيق الكتاب، وكنت إذّاك في حِمَى مدينة غرناطة، بالأنْدلُس الأَغَرّ.

وأُسجِّل شكري الوافر للدكتور (ليخ) Klaus lech، رئيس قسم اللغة العربية بجامعة (بون)، الذي قدّم لي صورة عن النسخة المخطوطة للكتاب، المُودعة في مكتبة (برلين).

وإلى الأخوين الكريمين عبدالحكيم فهمي كسيين، وجابي سيف الدين، تقديري وشكري.

ولا أنسى فضلَ أخي وشقيقي، علاء دمج، الذي بذل لهذا الكتاب كُلَّ عِنايته وجهده، واضّطلع بعبئِهِ، حين قعدتْ بي أسباب المرض، حتى خرج على صورته.

أسأل الله تعالى أن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم، وأن يوفِّقنا لِخِدْمة شريعته، ورفع رايته، ونصرة دينه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

أحمد شفيق دمج

في بيروت، غرّة شهر رجب ١٤٠٨ هـ.

١٩ شباط ١٩٨٨ م.



توثيق الكتاب وتحقيقه

نسبة الكتاب:

أشار الإمام السيوطي، في كتابه «حسن المحاضرة»، عند ذكر تصانيفه، إلى أنه وضع كتاباً في ترجمة الإمام النّووي، لكنه لم يصرّح باسمه.

وللكتاب مخطوطات عدة منثورة في بعضٍ من مكتبات العالم(*)، وقد نُسب الكتاب في جميعها للسيوطي.

ولم أقف على أيّ نسخة مطبوعة منه.

اسم الكتاب:

اختلف عنوان الكتاب في المخطوطتين اللتين اعتمدتهما:

فورد في نسخة (الاسكوريال): «المنهاج السَّنَوي في ترجمة الإمام النووي».

وعنوان الكتاب في نسخة (برلين) هو: «المنهاج السّويّ في ترجمة الإمام النووي».

(*) وهي:
نسخة في مكتبة برلين (رقم ١٠١٢٦)، وفي مكتبة الاسكوريال (رقم ١٧٤٩)، وفي مكتبة جوتة (رقم ١٨٤٧)، وفي مكتبة توبنجن (رقم ١٩)، وفي المكتبة الظاهرية (رقم ٦٠٨٢)، وفي دار الكتب المصريّة (رقم ٣٩٤٣).

وقد رجّحنا هذا الأخير، لوروده في أكثر النسخ المخطوطة:

فقد اعتمده (بروكلمان) حين عدّد مؤلفات السّيوطي (Brockelman: g, II: 143, 158, S, I: 680).

وورد في مخطوطة (توبنجن)، (فهرس المخطوطات العربية المصورة، ج ١).

وورد في مخطوطة دار الكتب الظاهرية (فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية، ج ٢ ص ٤٨٤).

وذكره البغدادي في إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، (ج ٢ ص ٥٩١)

النُّسخ المعتمدة في التحقيق:

واعتمدت في تحقيق الكتاب على نسختين:(**)

الأولى: نسخة مكتبة (الاسكوريال)، المحفوظة تحت رقم (١٧٤٩)، وهي نسخة مكتوبة بقلم معتاد، بخط محمد بن أحمد المقري، الشهير بالمدني، وفرغ من كتابتها يوم الثلاثاء في شهر صفر سنة (٩٩٥) خمس وتسعين وتسعمائة تقع في (٣٩) ورقة، في كل صفحة (١٥) سطراً، ومتوسط الكلمات في كل سطر(١٦) كلمة. وقد وُضعت العنوانات بخط مخالف. وهي نسخة حسنة، مقروءة، لكن سقطت منها بعض الكلمات، ووقع الناسخ بعدد من الأخطاء.

وقد رمزنا لها بالحرف (E).

(**) مع أن كمال العمل من الناحية العلمية يقتضي الاطلاع على المزيد من النسخ، إلا أن هذا وللأسف كان متعذراً في ظل ظروف راهنة.

الثانية: نسخة مكتبة (برلين) وتحمل الرقم (١٠١٢٦)، كتبت بقلم معتاد، بخط عبدالرحمن (كذا، ولم يذكر اسمه كاملاً)، وكان الفراغ من كتابتها يوم السبت، الثالث في شهر ذي الحجة من سنة (١٢٠١) مائتين وواحد وألف. تتألف من (١٦) ورقة، في كل صفحة (٢٩) سطراً، ومتوسط الكلمات في كل سطر (٩) كلمات. وهذه النسخة أفضل من سابقتها، واضحة، وأخطاؤها يسيرة.

وقد رمزنا لها بالحرف (B).

منهجنا في التحقيق:

كان عملي في تحقيق الكتاب سائراً ـ بفضل الله تعالى ـ وفق الخطوات التالية:

ـ قارنت بين النسختين اللتين بحوزتي، ولم أُثبت في مجموع المتن إحداهما، لغياب النسخة الأم التي كتبها المؤلف بخطه، بل لَفّقتُ بينهما واخترت ما رأيته مناسباً وموصلاً إلى النص السليم الذي قصد إليه المؤلف.

ـ لم أُشر إلى الاختلافات بين النسختين إلّا إذا كان احتمال صحّة ما ورد في كلتيهما واحداً، وأثبته في الحاشية.

ـ أعملت جهدي بضبط النص وشرح ما استغلق من ألفاظه، وشكّلتُ ما رأيته بحاجة إلى الشكل.

ـ أغفلت الإشارة إلى الأخطاء الواضحة والصريحة.

ـ أشرت إلى مواضع النصوص التي نقلها المؤلف، من المصادر التي تيسّرت لي، وإن لم تكن هي المصادر الأساسية لتلك النصوص. وقد

أفدت في ذلك بصورة رئيسية، من كتاب السخاوي في ترجمة النووي[***] والذي تضمّن الكثير من تلك النصوص، التي نُقلت عن لسان ابن العطار، إذ إنّ السخاوي قد أورد كتاب ابن العطار جُملةً، وعلّق عليه.

- خرّجت الأحاديث والآيات وعرّفت بأكثر الأعلام.

وإني أرجو أن أكون قد وُفّقتُ إلى خدمة هذا الكتاب وإخراجه بصورة صحيحة، فإن كنت أصَبْتُ فمن الله سبحانه، وإن أخطأت فمن نفسي.

إن تجِدْ عَيْباً فسُدَّ الخللا ... جَلَّ من لا عَيْب فيهِ وَعَلا

والله من وراء القصد.

رموز واصطلاحات:

- وضعت بين معقوفين < . . . > ما لم يتضح لي رسمه ومعناه في الأصلين المخطوطين.
- وما بين حاصرتين [. . .]، فهو ساقط في أحد المخطوطين، مثبت في الآخر. أو ساقط في كليهما ومثبت في مصادر موثوقة، ولا يُستغنى عنه لتمام المعنى.
- أما الحاصرتين [ ]، فهما للإشارة إلى سقط محتمل في كِلا المخطوطين لا يغير المعنى، وقد استقيناه من مصادره، وأثبتناه في الحاشية.

(* * *) طبع في القاهرة، سنة ١٣٠٤ هـ (١٩٣٥ م)، بعناية محمود حسن ربيع.

المنهاج السوي في ترجمة الإمام النووي
جمع العالم العلامة والنحرير الفهامة
حافظ الملة والدين وارث علوم
الأنبياء والمرسلين الحافظ
عبد الرحمن السيوطي
رضي الله عنهما
وعنا بهم
امين
م

مصوّر الغلاف من نسخة (B)

مصوّر الصفحة الأولى والأخيرة من نسخة (B)

كتاب المنهاج السوي

في ترجمة الشيخ الإمام محيي

الدين النووي رضي الله عنه

للشيخ الإمام

العالم العلامة الشيخ جلال الدين عبد الرحمن

ابن الشيخ العالم العلامة

كمال الدين السيوطي

في نوبة كاتبه محمد الشافعي بن أبي بكر [illegible]

[illegible] من بلدة [illegible] السودان سنة [illegible]

[illegible]

مصوّر الغلاف من نسخة (E)

ترجمة المؤلِّف

الإمام السّيوطي(*)

(٨٤٩ - ٩١١ هـ) (١٤٤٥ - ١٥٠٥ م)

نَسَبُـه ونشْأتـه:

هو الإمام جلال الدين أبو الفضل، عبدالرحمن، بن الكمال أبي بكر محمّد، بن سابق الدّين، بن الفخر عثمان، بن ناظر الدين محمد، ابن سيف الدين خضر، بن نجم الدين أبي الصلاح أيوب، بن ناصر الدين محمد، بن الشيخ همام الدين الهمام الخضيري الأسيوطي. هكذا ذكر نسبه في كتابه «حسن المحاضرة».

وُلد مُستَهلّ رَجَب سنة ٨٤٩ تسع وأربعين وثمانمائة بأسيوط. نشأ يتيماً، وحفظ القرآن وهو دون ثماني سنين، وشرع في الاشتغال بالعلم من مُستهل سنة أربع وستين.

(*) أفرَدَ السّيوطي لنفسه ترجمة في كتابه «حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة»، عند الحديث عمن كان بمصر من الأئمّة المجتهدين.
وانظر أيضاً في ترجمة السيوطي:
الضوء اللامع، للسخاوي: ٤/٦٥ - ٧٠.
الكواكب السائرة، للغزّي: ١/٢٢٦ - ٢٣١.
النور السافر، للعيدروسي: ٥٤ - ٥٨.
البدر الطالع، للشوكاني: ١/٣٢٨ - ٣٣٥.
هدية العارفين، للبغدادي: ١/٥٣٤ - ٥٤٤.

مصنّف بين كتب ورسائل ومقامات، وتناولت علوماً متعدّدة كالتفسير والحديث والفقه والنحو والبلاغة والتاريخ والأدب والأصول والتصوّف وعلوم القرآن والتوحيد.

من مُصنفاته: المزهر (في اللغة)، والإتقان في علوم القرآن، والأشباه والنظائر (في النحو)، والدر المنثور في التفسير بالمأثور، والجامع الصغير (في الحديث، وغيرها(**).

والسّيوطي ممن اتّسع لهم باع التأليف في فنّ التراجم، فله طبقات المفسّرين وبُغية الوُعاة في طبقات اللغويين والنحاة. وقد خصّ بعض العلماء بالترجمة، وأفرد لكُلٍ منهم كتاباً في مناقبه ومآثره. مثل: ترجمة البلقيني، وتزيين الممالك بمناقب الإمام مالك، والمكنون في ترجمة ذي النّون، وكتاب المنهاج السّويّ، وهو الذي بين أيدينا.

وفاته:

كانت وفاة السّيوطي ـ رحمه الله ـ يوم الخميس تاسع جُمادى الأولى سنة ٩١١ إحدى عشرة وتسعمائة، ودُفن بجوار خانقاه قوصون، خارج باب القرافة، بعد أن ملأ الدنيا عِلماً وفضلاً وشُهرة وذِكراً.

(**) انظر: أحمد الشرقاوي إقبال: مكتبة الجلال السيوطي، دار المغرب ـ الرباط، (١٣٩٧هـ/١٩٧٧م).



المنهاج السوي
في
ترجمة الإمام النووي



بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة الكتاب

الحمد لله العزيز الحكيم، الرؤوف الرحيم، ولا حَوْل ولا قوة إلاّ بالله العليّ العظيم. وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، ربّ السموات والأرض وما بينهما وربّ العرش الكريم، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، المخصوص بالاصطفاء والتكريم، صلّى الله عليه وعلى آله وصَحْبه أُولي الفضل العميم الجسيم.

هذه أوراق فيها ترجمة[1] الشيخ الإمام، شيخ الإسلام، وليّ الله تعالى، مُحيي الدين، أبي زكريا النَّوَوِيّ رَحِمَهُ الله، ذكرتُ فيها بعضَ مناقِبه الكريمة وسمّيْتُها: «المنهاج السّويّ[2]، في ترجمة الإمام النّوويّ». فأقول:

نسب الإمام النووي

هو الإمام أبو زكريا، مُحيي الدين، يَحيىَ بن شَرَف بن مُرِي (بضم الميم وكسر الراء، كما رأيتُه مضبوطاً بخطّه)، ابن حسن بن حسين بن محمد بن جمعة بن حِزام[3] (بكسر الحاء المهملة وبالزاي المعجمة)،

---

(١) في E: ترجمت فيها.

(٢) في E: السنوي.

(٣) في طبقات السبكي: ١٦٥/٥: ابن حزام بن محمد بن جمعة.

النَّوويّ[1] ثم الدمشقي[2]، محرّر المَذْهب ومُهذِّبه، ومحقّقه ومرتّبه. إمام أهل عصره عِلْماً وعبادة، وسيّد أوانه وَرَعاً وسيادة. العَلَم الفَرْد، فدونه واسطة الدُّرّ والجوهر، السراج الوهّاج، فعنده يُخفى الكوكب الأزهر. عابد العلماء وعالم العبّاد، وزاهد المحقّقين ومُحقق الزُّهّاد. لم تسمعْ بعدَ التابعين بمثله أُذنٌ، ولم تَرَ ما يدانيه عينٌ، وجُمع له في العلم والعبادة مُحكَمُ النّوعين.

راقبَ اللّهَ في سِرِّه وجهره، ولم يبرحْ طَرفة عين عن امتثال أمره، ولم يُضيِّع من عُمره ساعةً في غير طاعة مَوْلاه، إلى أن صار قُطبَ عصره وحوى من الفضل ما حواه، وبلغ ما نواه، فتشرّفَتْ به نَواه، ولم يكن[3] له مَنْ ناواه. [من الكامل]

وإذا الفتى لِلّهِ أخلصَ سِرَّه فَعلَيْه منه رداء طِيْب يظهرُ[4]
وإذا الفتى جعل الإلهَ مُرادَه فلِذِكره عَرْفُ ذَكيٌّ يُنشرُ[5]

أثنى عليه المُوافق والمُخالف، وقَبِلَ كلامَه النائي والآلف، وشاع ثناؤُه الحَسَن بين المذاهب، [ونُشرت له راية مَجْد][6] تخفق في المشارق والمغارب. من سلك منهاجه أيقن بروضةٍ قطوفها دانية، ومَن تتبَّع آثاره فهو مع[7] الصالحين في رياضٍ عيونُها جارية، ومن لزم أذكاره

---

(١) نسبة إلى نَوى، قرية في حوران من أعمال دمشق، وهي مسقط رأسه.
(٢) وقد أقام الشيخ بدمشق نحواً من ثمان وعشرين سنة، وابن المبارك رحمه الله يقول: من أقام ببلد أربع سنين، نسب إليها.
(٣) في E: لم يُلفَ.
(٤) طيب، (الطيب): ما يُتطيَّب به من عطر أو نحوه، أو: الحِلّ.
(٥) العرف: الرائحة الطيبة.
(٦) ساقطة: في E.
(٧) في B: من.

ومهذب أخلاقه فالخير فيه مجموع[1]، ومن استقى من بحره ظفر بأروى وأصفى ينبوع.

فبِهِ ثبّت الله أركان المذهب والقواعد، وبيّن مهمّات الشرع والمقاصد، فطابت منه المصادر والموارد، وعذُبت مناهله للصادر والوارد، وليس على الله[2] بمُسْتنكَر أن يجمع العلم في واحد.

ثناء التاج السبكي عليه في الطبقات

وقال فيه الشيخ تاج الدين السبكي في طبقاته[3]: [ ][4] أستاذ المتأخرين وحُجّة الله على اللاحقين، ما رأت الأعين أزهد منه في يقظة ولا منام، ولا عاينتْ أكثر اتّباعاً منه لطُرق السالفين[5] من أمة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام. له التصانيف المفيدة والمناقب الحميدة، والخصائل التي جمعت طارف كل فضل وتليده[6]، والورع الذي خرّب به دنياه وجعل دينه معموراً، والزهد الذي كان به يحيى سيّداً وحَصوراً، هذا إلى قدْر في العلم، لو أَطلّ على المجرّة لما ارتضى سرباً في أعطانها[7]، أو جاور الجوزاء لما استطاب مُقاماً في أوطانها، أو حلّ في دارة الشمس[8] لأنف من مجاورة سلطانها. وطالما فاه بالحق[9] لا تأخذه

---

(١) المنهاج، والروضة، ورياض الصالحين، والأذكار، والتهذيب، والمجموع: من مصنفات النووي رحمه الله.
(٢) في E: وليس لله.
(٣) الطبقات الوسطى، نقلاً عن السخاوي: ٦٠.
(٤) [الشيخ الإمام، شيخ الإسلام]، ذكرها السبكي. (المصدر السابق).
(٥) في E: السالكين.
(٦) الطارف: الحديث، والتليد: القديم.
(٧) سرباً في أعطانها: السرب هو الإبل الراعي، والعطن (للإبل): كالوطن للناس.
(٨) دارة الشمس: هالتها.
(٩) فاه بالحق: نطق به.

لومة لائم، ونادى بحضرة الأسود الضراغم، وصدع بدين الله بمقال ذي سريرة يخاف يوم تُبلى السرائر، ونطق معتصماً بالباطن الطاهر، غير متلفِّت إلى الملك الظاهر، وقبض على دينه والجمر مُلتهِب، وصمّم على مقاله والصارخ للأرواح منتهب. لم يزل رحمه الله طول عمره على طريق أهل السُّنَّة والجماعة[1]، مواظباً على الخير، لا يصرِف ساعة في غير طاعة».

ثناء ابن فضل الله عليه في المسالك

وقال ابن فضل الله في المسالك[2]: «شيخ الإسلام، عَلَم الأولياء قُدوة الزهاد، ورجل علم وعمل، <ونجاه سؤل وأمل>[3] وكاملٌ، قَلَّ مثلُه في الناس من كَمُل. وُفِّق للعلم وسُهِّل عليه، ويُسِّر له وسُيِّر إليه. مِن أهل بيت من نَوى، من كِرام القِرى وكرامة أهل القرى، لهم بها بيت مضيف لا تُخمد نارُه، ودار قرى لا تُحمل مناره. طلع من أُمم سادات وجمع لكرمهم عادات، وجمع لهممهم أطراف السعادات. ونبت فيهم نباتاً حسناً، ونبغ ذكاء وَلَسناً، وأتى دمشق مُتلقّياً للأخذ من علمائها، متقلِّلاً مِنْ عَيْشها، حتى كاد يعفُّ فلا يشرب من مائها. فَنَبُه شُكْره، ونهب[4] مدى الآفاق ذكرُه، وحلُوَ اسمه[5]، وذُكر تصنيفه وعلمه».

---

(١) ساقطة في B.

(٢) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار: لشهاب الدين، أحمد بن يحيى بن محمد الكرماني العُمري الشافعي، المعروف بابن فضل الله، الكاتب الدمشقي، المتوفى سنة ٧٤٩ تسع وأربعين وسبعمائة، وقد جعل الكتاب في قسمين: الأول في الأرض، والثاني: في سكان الأرض. يقع في مجلدات عدة.

(٣) كذا، في الأصلين.

(٤) في E: لهب.

(٥) حَلُوَ اسمه: طاب.

فلمّا توسّد الملك الظاهر[1] أمانيه <وجدمته>[2] نفسه من الظلم بما كاد يأتي قواعده من مبانيه، وكتب له من الفُقهاء من كتب، وحمَله سوء رأيه على بيع آخرته بشيء من الذهب، ولم يبْقَ سواه، فلمّا حضر هابه، وألقي إليه الفُتيا، فألقاها وقال لهْ: «لقد أفتوك بالباطل، ليس لك أخذ معونة حتى تنْفَد أموال بيت المال، وتعيد، أنت ونساؤك[3] ومَمَالِيكُكَ وأمراؤك، ما أخذتم زائداً عن حقّكم، وتردّوا فواضل بيت المال إليه». وأغلظ له في القول. فلمّا خرج قال: اقطعوا وظائف هذا الفقيه ورواتبه.

- فقيل له[4]: إنه لا وظيفة له ولا راتب.
- قال: فمن أين يأكل؟
- قالوا: مِمّا يبعث إليه أبوه.
- فقال: والله لقد هممتُ بقتله فرأيت كأنّ أسداً فاتحاً فاهُ بيني وبينه لو عرضت له لالتقمني.

ثم وقر له[5] في صدره ما وقر، ومدّ إليه يد المسألة[6] يسأله وما افتقر.

---

(١) بيبرس بن عبدالله، السلطان الأعظم، الملك الظاهر، ركن الدين، أبو الفتح الصالحي، صاحب البلاد المصرية والشامية والحلبية. كان من خاصة خَدَم الملك الصالح نجم الدين أيوب، ولم تزل همّته تعلو به حتى صار أتابك العساكر بمصر، ثم تولّى سلطنة مصر والشام بعد مقتل الملك المظفّر قطز، وتلقّب بالملك الظاهر.
كان ملكاً غازياً مجاهداً مؤيداً عظيم الهمّة، خليقاً للمُلك، يُضرب بشجاعته المثل، له أيام بيض في الإسلام، وفتوحات مشهورة ومواقف مشهودة، مع التتار والإفرنج، ولولا ظلمه وجبروته في بعض الأحايين لعُدّ من الملوك العادلين، (قاله الذهبي في العِبَر). توفي سنة ٦٧٦ ست وسبعين وستمائة، فخلفه في ولاية السلطنة ابنه الملك السعيد محمد.
(البداية والنهاية: ٢٧٤/١٣، شذرات الذهب: ٣٥٠/٥، الأعلام: ٥٨/٢).

(٢) لم أتوضح رسمها، ولعلها كذا، و(جدم): قطع.

(٣) ساقطة في: B.

(٤) ساقطة في: B.

(٥) ساقطة في: E.

(٦) في E: المسالمة.

ثم كانت سمعة النـواوي التي شرّقت وغـرّبت وبعُدت وقـرُبت. وعظم شأن تصانيفه، وبان البيان في مطاول تآليفه، ثم هي اليوم محجّة الفتـوى، وعليها العمل وما تمّ[1] سوى سببها[2] الأقوى.

شهادة تلميذه ابن العطار فيه

قال تلميذه الشيخ علاء الدين بن العطّار في ترجمته التي جمعها له:

أوحـد عصره وفريد دهره، الصوّام القـوّام، الزاهـد في الدنيـا، الراغب في الآخرة، صاحب الأخلاق الرضية والمحاسن السنيّة، العالم الربانيّ المتفق على علمه وأمانتـه وجلالتـه وزهده، وورعـه وعبادتـه، وصيانته في أقوالـه وأفعالـه وحالاته. له الكرامات الواضحة. والمؤثر بنفسه وماله للمسلمين، والقائم بحقوقهم وحقوق وُلاة أمورهم بالنصح والدّعاء في العـالمين. وُلـد في العشر الأوسط من المحرم[3] سنة إحدى وثلاثين وستمائة بِنوى.

قال ابن العطّار:

كرامة له في صغره

وذكـر لي بعض الصـالحين الكبـار أنـه وُلـد وكُتب مـن الصّادقين ـ ونشأ بهـا وقرأ القـرآن. فلمّا بلغ سبـع سنين ـ وكانت ليلة السابع والعشرين من رمضان ـ قال والده: «وكان نائماً إلى جنبي، فانتبه نحو نصف الليل وأيقظني، وقال:

ـ يا أبتِ ما هذا النور الذي قد مـلأ الدار؟!.

فاستيقظ أهله جميعاً ولم نر شيئاً، فعرفت أنها ليلة القدر».

---

(١) في B: ثم، و: ثم = صلح.

(٢) السبب: الطريق أو الحبل.

(٣) ذكر الأسنوي أنه ولد في العشر الأول. (الطبقات: ٢/٤٧٧).

فلمّا بلغ عشر سنين، وكان بنوى الشيخ ياسين بن يوسف المراكشي[1] من أولياء الله تعالى، فرآه والصبيان يكرهونه على اللعب معهم، وهو يهرب منهم ويبكي لإكراههم، ويقرأ القرآن في تلك الحالة. قال: فوقع في قلبي محبته. وجعله أبوه في دكان، فجعل لا يشتغل في البيع والشراء عن القرآن.

بلوغه العشرين والتقاء الشيخ المراكشي به

قال الشيخ ياسين: «فأتيت الذي يقرئه القرآن فوصّيته به وقلت له:
- هذا الصبي يرجى أن يكون أعلم أهل زمانه وأزهدهم، وينتفع الناس به».

- فقال: أمنجّم أنت؟.
- فقلت: لا، وإنّما أنطقني الله بذلك.

فذكر ذلك لوالده، فحرص عليه إلى أن ختم القرآن وقد ناهز الاحتلام[2].

قال ابن العطار:

قال الشيخ: «فلمّا كان عمري تسع عشرة سنة، قدم بي والدي إلى دمشق، سنة تسع وأربعين، فسكنتُ المدرسة الرَّواحيّة[3]. وبقيت نحو سنتين لم أضع جنبي إلى الأرض، وكان قُوْتي فيها جِراية المدرسة لا غير».

أول قدومه إلى دمشق وإقامته بالرواحية

---

(١) الشيخ الصالح ياسين بن عبدالله المغربي المراكشي، الحجّام الأسود. كان صاحب كشف وحال، وكان النووي رحمه الله يزوره ويتلمذ له، توفي في ربيع الأول سنة ٦٨٧، سبع وثمانين وستمائة. (البداية والنهاية: ٣١٢/١٣، شذرات الذهب: ٤٠٣/٥).
(٢) طبقات الشافعية الكبرى: ٣٩٦/٨.
(٣) المدرسة الرواحية: كانت لصيقة بجامع الأموي من جهة بابه الشرقي (باب النوفرة)، =

رحمه الله

قال: «وحفظت التنبيه[1] في أربعة أشهر ونصف، وحفظت ربع المهذب[2] في باقي السنة».

قال: «ولمّا قرأت قول التنبيه: (يجب الغسل من إيلاج الحَشَفَة[3])، كنت أظن أنها قرقرة الجوف[4]، وقعدت مدّة أغتسل منها بالماء البارد حتى تشقق ظهري».

قال: «وجعلت أشرح وأُصحّح على شيخنا، الإمام العالم الزاهد الورع أبي إبراهيم إسحٰق بن أحمد بن عثمان المغربي الشافعي[5]، ولازمته فأعجب بي، لِمَا رأى من اشتغالي وملازمتي وعدم اختلاطي

= وبانيها: زكي الدين بن رواحة، أبو القاسم، التاجر المعروف بابن رواحة والمتوفى سنة ٦٢٢، اثنتين وعشرين وستمائة.

(١) التنبيه: في فروع الشافعية للشيخ أبي إسحٰق إبراهيم بن علي الشيرازي الشافعي المتوفى سنة ٤٧٦ ست وسبعين وأربعمائة، وهو أحد الكتب الخمس المشهورة المتداولة بين الشافعية.

(٢) المهذب: في الفروع، للشيرازي أيضاً، وهو كتاب جليل القدر اعتنى بشأنه فقهاء الشافعية، وشرحه كثيرون، منهم الإمام النووي بلغ فيه إلى باب الربا.

(٣) الحَشَفَة: ما يكشف عنه الخِتان في عضو التذكير.

(٤) قرقرة الجوف: صوت البطن.

(٥) الكمال إسحٰق بن أحمد بن عثمان المغربي، الشيخ المفتي الإمام الفقيه الشافعي المغربي، ثم المقدسي، أحد مشايخ الشافعية وأعيانهم، كان إماماً عالماً فاضلاً مقيماً بالرواحية، أعاد بها عند ابن الصلاح عشرين سنة، وقد أخذ عنه جماعة منهم الإمام النووي، وقد قال فيه في أوائل تهذيب الأسماء واللغات: أول شيوخي الإمام المتفق على علمه وزهده وورعه وكثرة عبادته وعظيم فضله وتمييزه في ذلك على أشكاله. وقال غيره: كان متصدياً للإفادة والفتوى، وكان كبير القدر في الخير والصلاح متيقن الورع عرضت عليه مناصب فامتنع ثم ترك الفتوى وقال: في البلد من يقوم مقامي. له أوراد كثيرة ومحاسن جمّة. توفي عن نيف وخمسين سنة، سنة ٦٥٠ خمسين وستمائة ودفن بتربة الصوفية. (تهذيب الأسماء واللغات: ١٨/١، شذرات الذهب: ٢٤٩/٥).

بالناس، وأحبّني محبّة شديدة، وجعلني مُعيد[1] الدرس في حلقته لأكثر الجماعة».

حجه

قال: «فلمّا كانت سنة إحدى وخمسين، حججت مع والدي وكانت [الوقفة تلك السنة يوم الجمعة][2]، وكانت رحلتنا من أوّل رجب، فأقمت بمدينة النبيّ ﷺ نحواً من شهرٍ ونصف».

مرضه في أثناء الحج

قال والده: ولما توجّهنا للرحيل من نوى، أخذته الحُمّى إلى يوم عرفة. قال: ولم يتأوّه قط، فلمّا عُدنا إلى نوى، ونزل [هو][3] إلى دمشق، صبّ الله عليه العلم صباً، فلم يزل يشتغل بالعلم، ويقتفي آثار شيخه أبي إبراهيم إسحٰق في العبادة، من الصلاة وصيام الدهر والزهد والورع [ ][4]. فلما توفي شيخه ازداد اشتغاله بالعلم والعمل، وحجّ مرّة[5] أخرى.

قال ابن العطّار:

قال لي شيخنا القاضي أبو المفاخر محمد بن عبدالقادر الأنصاري[6]: لو أدرك القشيري صاحب الرسالة[7] شيخكم وشيخه، لَمَا

---

(١) في الأصلين: أعيد، والتصويب من تاريخ ابن الفرات: ٧، والسخاوي: ٦.

(٢) في الأصلين: [وقفة الجمعة] والتصويب من السخاوي: ٦.

(٣) ساقطة في الأصلين: والإثبات من السخاوي: ٦.

(٤) [وعدم إضاعة شيء من أوقاته]، كما في السخاوي: ٦.

(٥) في B: حجّة.

(٦) قاضي القضاة الإمام عز الدين أبو المفاخر محمد بن عبدالقادر بن عبدالخالق الأنصاري الدمشقي الشافعي المعروف بابن الصائغ. كان عارفاً بالمذهب، بارعاً في الأصول والمناظرة وكان مشكور السيرة، له عقل وتدبير واعتقاد كثير في الصالحين. وُلي القضاء ثم امتحن فعزل وسجن، ثم خُلّص وانقطع بمنزله في بستانه إلى أن توفي في ربيع الآخرة سنة ٦٨٣ ثلاث وثمانين وستمائة. (مرآة الجنان: ٤/١٩٩، البداية والنهاية: ١٣/٣٠٤، شذرات الذهب: ٥/٣٨٣).

(٧) الرسالة القشيرية، في التصوف، للإمام أبي القاسم عبدالكريم بن هوازن القشيري =

قدّم عليهما في ذكره لمشايخهما أحد، لما جمع فيهما من العلم والعمل والزّهد والورع، والنطق بالحكمة وغير ذلك.

تلقيه اثني عشر درساً كل يوم

قال: وذكر لي الشيخ قال: كنت أقرأ كل يوم اثني عشر درساً على المشايخ شرحاً [وتصحيحاً][1]: درسين في الوسيط[2]، ودرساً في المهذب[3]، ودرساً في الجَمْع بين الصحيحين[4]، ودرساً في صحيح مسلم[5]، ودرساً في اللمع لابن جني[6]، ودرساً في إصلاح المنطق لابن السكّيت[7] في اللغة، ودرساً في التصريف، ودرساً في أصول الفقه، ودرساً في أسماء الرجال[8]، ودرساً في أصول الدين[9].

= الأستاذ الشافعي المتوفى سنة ٤٦٥ خمس وستين وأربعمائة.

(١) ساقطة في الأصلين: والإثبات من: مرآة الجنان: ١٨٣/٤، طبقات السبكي: ٤٤٢/٨، والسخاوي: ٦.

(٢) الوسيط: (في الفروع)، للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي الشافعي المتوفى سنة ٥٠٥ خمس وخمسمائة، وهو ملخص من بسيطه مع زيادات. وهو أحد الكتب الخمسة المتداولة بين الشافعية.

(٣) الجمع بين الصحيحين: للإمام الحافظ أبي عبدالله محمد بن أبي نصر فتوح الحميدي الأندلسي المتوفى سنة ٤٨٨ ثمان وثمانين وأربعمائة.

(٤) صحيح مسلم: الجامع الصحيح، وهو أحد الصحيحين من الكتب الستة، للإمام الحافظ أبي الحسين مسلم بن الحجّاج بن مسلم القشيري النيسابوري المتوفى سنة ٢٦١ واحد وستين ومائتين.

(٥) اللمع: (في النحو)، لأبي الفتح عثمان بن جني الموصلي النحوي المتوفى سنة ٣٩٢ اثنتين وتسعين وثلثمائة، جمعه من كلام شيخه أبي علي الفارسي. اعتنى به جماعة وله شروحات كثيرة.

(٦) إصلاح المنطق: للشيخ الأديب يعقوب بن إسحٰق الشهير بابن السكّيت اللغوي المتوفى سنة ٢٤٤ أربع وأربعين ومائتين. وهو من الكتب المختصرة الممتعة في الأدب. له شروحات كثيرة.

(٧) أسماء الرجال: علم يُعنى بمعرفة أحوال الرجال رواة الحديث.

(٨) المذكور أحد عشر درساً فقط.

قال: وكنت أعلّق جميع ما يتعلق بها من شرح مشكل وإيضاح عبارة وضبط لغة. قال: «وبارك الله لي في وقتي واشتغالي وأعانني عليه. قال: وخطر لي الاشتغال بعلم الطب، فاشتريت القانون[1] وعزمت على الاشتغال فيه، فأظلم عليّ قلبي، وبقيتُ أياماً لا أقدر على الاشتغال بشيء، ففكرت في أمري، ومِن أين دخل عليَّ الداخل، فألهمني الله تعالى أنّ سببه اشتغالي بالطّبّ، فبعتُ في الحال الكتاب المذكور، وأخرجت من بيتي كُلَّ ما يتعلّق بالطّب، فاستنار قلبي، ورجع إليّ حالي، وعُدت إلى ما كنت عليه أوّلاً»[2].

محاولة اشتغاله بعلم الطب

---

(١) القانون (في الطب): للشيخ الرئيس أبي علي حسين بن عبدالله المعروف بابن سينا المتوفى سنة ٤٢٨ ثمان وعشرين وأربعمائة. وهو من الكتب المعتبرة.

(٢) يعلّق السخاوي على هذا الكلام فيقول، ص ٦: «فإن قيل: كيف هذا مع ما نقل كما روينا في مناقب الشافعي للبيهقي، من طريق الربيع بن سليمان: سمعت الشافعي يقول: العلم علمان، علم فقه للأديان وعلم طب للأبدان. ونحوه عن ابن عبدالحكم عن الشافعي، وزاد: وما سوى ذلك بلغة مجلس. ورواه محمد بن يحيى بن حسان عن الشافعي فقال: وما سوى ذلك من الشعر ونحوه فهو عناء وتعب؟ فالجواب: أن الذي مدحه الشافعي رحمه الله هو الطب النبوي أو المجرد عن أصول الفلاسفة، الذي صرح صاحب القانون في أوله، بابتناء الطب المورد في كتابه عليها، وأن الطبيب يتعلم ما يبنى عليه من العلم الطبيعي، ولذلك اعترى الشيخ رحمه الله بمجرد عزمه على الاشتغال في الكتاب المذكور ما أشار إليه، لما رزقه الله من نور البصيرة، وأبداه له بصلاح السريرة، خصوصاً وعنده من الطب المحمود ما يفوق الوصف. على أن أبا بكر بن طاهر سئل عن معنى قول الشافعي، فقال: عند العوام، أن علم الأديان هو ظاهر الفقه، وعلم الأبدان هو ظاهر الطب. وعند الحكماء، أن علم الأديان هو علم مشاهدة القلوب بالمعاملات، بصنع الله وتدبيره، وهو الفقه النافع. وعلم الأبدان هو ظاهر أوامر الله تعالى ذكره، ونواهيه في الحلال والحرام، وهو حجة الله على خلقه، وهو الطب النافع. فعلم القلوب عين الإسلام وحقائقه، وعلم الأبدان هو آداب الإسلام وشرائعه، وقد قال حرملة بن يحيى: إن الشافعي يتلهف على ما ضيع المسلمون من الطب، ويقول: ضيعوا ثلث العلم ووكلوه إلى اليهود والنصارى. اهـ.».

تمثل إبليس له في هيئة شيخ صالح

قال: «وكنت مريضاً بالمدرسة الرَّواحيّة، فبينا أنا في بعض الليالي في الصّفّة الشرقية منها، ووالدي وإخوتي وجماعة من أقاربي نائمون إلى جنبي، إذ نشّطني الله وعافاني من الحُمّى فاشتاقت نفسي إلى الذِكْر، فجعلتُ أُسبِّح، فبيْنا أنا كذلك، بين الجَهْر والإسْرار، إذا شيخٌ حَسَنُ الصورة جميل المنظر، يتوضّأ على حافّة البِرْكة وقت نصف الليل أو قريب منه، فلمّا فرغ من وضوئه أتاني، وقال لي:

يا ولدي لا تذكر الله تعالى، تشوّش على والدك وإخوتك وأهلك ومَن في هذه المدرسة.

- فقلت: يا شيخُ من أنت؟.
- فقال: أنا ناصحٌ لك، ودَعْني أكون من كنت.

فوقع في نفسي أنه إبليس، فقلت: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ورفعت صوتي بالتسبيح، فأَعْرَض عنّي ومشى إلى ناحية باب المدرسة، [فأنبهت والدي والجماعة على صوتي، فقمتُ إلى باب المدرسة][1] فوجدته مقفلاً، وفتشتها فلم أجد فيها أحداً غير من كان فيها، فقال لي والدي: يا يحيى، ما خبرُك؟ فأخبرته الخبر. فجعلوا يتعجّبون، وقَعَدْنا كُلُّنا نُسبِّح ونذكر».

---

(١) ما بين الحاصرتين ساقط في: B، والصواب إثباته كما في: E.

ذكـــر شيوخـــه

قال ابن العطّار:

شيوخه في الفقه

نقلت من خط الشيخ رحمه الله أنه قرأ على القاضي أبي الفتح عمر بن بُنـدار التفليسي[1]: المنتخب للرازي[2]، وقطعة من المستصفى[3]، وغير ذلك[4].

شيوخه في اللغة

وعلى الشيخ فخر الدين المالكي اللمع لابن جنّي.

وعلى أبي العباس أحمد بن سالم المصري النحوي[5] إصلاح

---

(١) قاضي القضاة كمال الدين أبو الفتح عمر بن بندار بن عمر التفليسي الشافعي، كان فقيهاً أصولياً بارعاً، سمع وحدّث. توفي بالقاهرة سنة ٦٧٢ اثنتين وسبعين وستمائة. (طبقات الأسنوي: ٣١٧/١، البداية والنهاية: ٢٦٧/١٣).

(٢) منتخب المحصول في الأصول: لفخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن الرازي الفقيه المفسر الشافعي المتوفى سنة ٦٠٦ ست وستمائة.

(٣) المستصفى: (في أصول الفقه) للإمام الغزالي.

(٤) ساقطة في: B.

(٥) الشيخ أحمد بن سالم المصري النحوي، نزيل دمشق، فقير متزهد محقق للعربية اشتغل بالناصرية وبمقصورة الحنفية مدة، وتوفي سنة ٦٦٤ أربع وستين وستمائة. (مرآة الجنان: ١٦٣/٤، شذرات الذهب: ٣١٤/٥).

المنطق في اللغة بحثاً، وكتاباً في التصريف. قال: «وكان لي عليه درس إمّا في [كتاب][1] سيبويه[2] أو غيره»، (الشك منه)[3].

وعلى الإمام جمال الدين بن مالك[4] كتاباً من تصانيفه، وعلّق عنه أشياء كثيرة.

شيوخه في الحديث

وعلى أبي إسحق إبراهيم بن عيسى المرادي[5] صحيح مسلم شرحاً ومعظم البخاري[6] وقطعة من الجمع بين الصحيحين للحميدي.

---

(١) ساقطة في الأصلين، وإثباتها من السخاوي: ١٠.

(٢) وهو كتاب: «الكِتاب» المشهور في النحو: لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الملقب بسيبويه المتوفى سنة ١٧٧ سبع وسبعين ومائة.

(٣) يعني: من ابن العطار.

(٤) العلامة حجة العرب جمال الدين أبو عبدالله، محمد بن عبدالله بن مالك الطائي الجيّاني ـ نسبة إلى جَيان بالأندلس ـ نزيل دمشق. خالف المغاربة في حسن الخُلُق والسخاء والمذهب، أتقن لسان العرب حتى بلغ الغاية فيه، وكان إماماً في القراءات وعللها، أمّا اللغة فكان إليه المتنهى فيها. كان ينظم الشعر سهلاً عليه. هذا مع ما عليه من الدين المتين والصدق ورقة القلب وكمال العقل. روى عنه النووي وغيره. توفي بدمشق سنة ٦٧٢ اثنتين وسبعين وستمائة. من تصانيفه: الألفيّة، وهي أشهر من أن تذكر، وكتاب تسهيل الفوائد في النحو، وكتاب الكافية، وكتاب العمدة وشرحها، وغير ذلك. (طبقات الأسنوي: ٢/٤٥٤، شذرات الذهب: ٥/٣٣٩).

(٥) ضياء الدين أبو إسحاق إبراهيم بن عيسى المرادي الأندلسي ثم المصري ثم الدمشقي، الفقيه الشافعي، الإمام الحافظ المتقن المحقق الضابط الزاهد الورع، كان بارعاً في معرفة الحديث وعلومه وتحقيق ألفاظه، ذا عناية بالفقه والنحو واللغة ومعارف الصوفية. توفي بمصر في أوائل سنة ٦٦٨ ثمان وستين وستمائة. (طبقات الأسنوي: ٢/٤٥٣، شذرات الذهب: ٥/٣٢٦).

(٦) الجامع الصحيح المشهور بصحيح البخاري، للإمام الحافظ أبي عبدالله محمد بن إسماعيل الجعفي البخاري المتوفى سنة ٢٥٦ ست وخمسين ومائتين. وهو أول الكتب الستّة في الحديث وأفضلها.

وقرأ على جماعة من أصحاب[1] ابن الصلاح[2] علوم الحديث له.

غيرهم من الشيوخ في سائر العلوم

وعلى أبي البقاء خالد بن يوسف النابلسي[3] الكمال في[4] أسماء الرجال، للحافظ عبدالغني [المقدسي][5]، وعلّق عنه حواشي وضبط عنه أشياء حسنة.

وأخذ الفقه عن شيخه إسحٰق المغربي، وكان يتأدب معه كثيراً، ويملأ له الإبريق ويحمله معه إلى الطهارة.

وأخذ عن الكمال سلّار بن الحسن الإربلي[6]، وعن الإمام

---

(١) ساقطة في: B.

(٢) عثمان بن عبدالرحمن بن عثمان الإمام العلّامة، مفتي الشام ومحدّثها، الشهرزوري ثم الدمشقي المعروف بابن الصلاح. طلب العلم في بلاد شتى، أقام بالقدس، ثم تحوّل منه إلى دمشق ودرّس في مدارسها. صنّف كتباً كثيراً مفيدة في علوم الحديث، وطبقات الفقهاء وأدب المفتي، وشرح مشكل الوسيط، كلها حسان ومفيدة، وله الرحلة وهي عبارة عن فوائد جمعها في رحلته إلى الشرق، وله الفتاوى، وقد جمعها بعض طلبته. كان ديّناً زاهداً ورعاً ناسكاً وعلى طريق السلف الصالح. توفي سنة ٦٤٣ ثلاث وأربعين وستمائة. (البداية والنهاية: ١٦٨/١٣، شذرات الذهب: ٢٢١/٥).

(٣) زين الدين خالد بن يوسف بن سعد، الحافظ اللغوي أبو البقاء النابلسي ثم الدمشقي، كان عالماً بأصول الحديث، حافظاً لأسماء الرجال، وقد اشتغل عليه في ذلك الشيخ النووي وغيره. كان فهماً يقظاً حلو النوادر، توفي سنة ٦٦٣ ثلاث وستين وستمائة). تذكرة الحفاظ: ١٤٤٧/٤، البداية والنهاية: ٢٤٦/١٣، شذرات الذهب: ٣١٣/٥).

(٤) ساقطة في: B.

(٥) ساقطة في الأصلين، واستدركناها من السخاوي وغيره.

(٦) الكمال سلّار بن الحسن بن عمر بن سعيد الإربلّي الشافعي، الإمام العلامة، مفتي الشام ومفيده، أبو الفضائل، صاحب ابن الصلاح، شيخ الأصحاب ومفيد الطلاب،

عبدالرحمن بن نوح المقدسي[1]، وأبي حفص عمر بن أسعد بن أبي غالب الربعي الأربلي[2].

وسمع الحديث عن أبي الفرج عبدالرحمن بن أبي عمر المقدسي[3]، وإسماعيل بن أبي اليُسر[4]، وأبي العباس بن عبدالدائم[5]، وخالد النابلسي، وعبدالعزيز بن أحمد بن عبدالمحسن

= تفقه على ابن الصلاح، وانتفع به خلق كثير، منهم النووي. وقد اختصر البحر للروياني في مجلدات عدة. توفي سنة ٦٧٠ سبعين وستمائة. (الأسنوي: ٢/ ٦٩، البداية والنهاية: ١٣/ ٢٦٢، شذرات الذهب: ٥/ ٣٣١).

(١) شمس الدين، عبدالرحمن بن نوح المقدسي، الفقيه الشافعي، مدرّس الرّواحية بدمشق. تفقّه على ابن الصلاح وكان أجلّ أصحابه وأعرفهم بالمذهب، سمع من ابن الزّبيدي وغيره. توفي سنة ٦٥٤ أربع وخمسين وستمائة. (البداية والنهاية: ١٣/ ١٩٥، شذرات الذهب: ٥/ ٢٦٥).

(٢) أبو حفص عمر بن أسعد بن أبي غالب الربعي الإربليّ. (تهذيب الأسماء واللغات: ١/ ١٨، وصفه النووي بالإمام المتقن، ولم يزد على ذلك، وذكره السبكي في الطبقات: ٨/ ٣٠٨، دون ذكر وفاته، ولم أعثر عليه في سواه).

(٣) جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن عبدالمنعم بن نعمة بن سلطان المقدسي النابلسي، الفقيه الحنبلي المحدّث. سمع بالقدس وحدّث بنابلس. كان له سعة وفيه فضل. توفي سنة ٦٥٦ ست وخمسين وستمائة. (شذرات الذهب: ٥/ ٢٧٨).

(٤) إسماعيل بن إبراهيم بن أبي اليسر شاكر بن عبدالله بن محمد بن عبدالله بن أبي المجد، مسند الشام، تقي الدين، شرف الفضلاء، أبو محمد التنوخي المعري الأصل الدمشقي، الكاتب المنشىء. له شعر جيد وبلاغة وفيه خير وعدالة، توفي سنة ٦٧٢ اثنتين وسبعين وستمائة. (فوات الوفيات: ١/ ١٧٠، شذرات الذهب: ٥/ ٣٣٨).

(٥) الشيخ زين الدين أبو العباس أحمد بن عبدالدائم بن نعمة بن أحمد بن محمد المقدسي النابلسي، مسند الشام وفقيهها ومحدثها الحنبلي المذهب، الناسخ. تفرّد بالرواية عن جماعة من المشايخ، وقد سمع ورحل إلى بلدان شتى، كان فاضلاً متنبهاً حسن الخَلق والخُلق متواضعاً ديّناً، روى عنه الأئمة الكبار منهم الشيخ محيي الدين =

الأنصاري[1]، والضياء بن تمام الحنفي، والحافظ أبي الفضل البكري[2]، وأبي الفضل عبدالكريم بن عبدالصمد خطيب دمشق[3]، وعبدالرحمن بن سالم الأنباري[4]، وأبي زكريا يحيى بن أبي الفتح الصيرفي[5]، وإبراهيم بن علي الواسطي[6]، وغيرهم.

= النووي وابن دقيق العيد وابن تيمية، وخلْق. توفي سنة ٦٦٨ ثمان وستين وستمائة. (شذرات الذهب: ٥/٣٢٥).

(١) شيخ الشيوخ، شرف الدين عبدالعزيز بن محمد بن عبدالمحسن الأنصاري. له محفوظات كثيرة وفضائل شهيرة، توفي سنة ٦٦٢ اثنتين وستين وستمائة. (مرآة الجنان: ٤/١٦٠، شذرات الذهب: ٥/٣٠٩).

(٢) المحدّث العالم المفيد الرحال المصنف صدر الدين أبوّ علي الحسن بن محمد بن محمد القرشي التيمي البكري النيسابوري ثم الدمشقي المحتسب الصوفي، سمع منه الشيخ تقي الدين ابن الصلاح، وُليّ حسبة دمشق ومشيخة الشيوخ. توفي سنة ٦٥٦ ست وخمسين وستمائة. (تذكرة الحفاظ: ٤/١٤٤٤، شذرات الذهب: ٥/٢٧٤).

(٣) العماد بن الحرستاني، أبو الفضائل، عبدالكريم بن القاضي جمال الدين عبدالصمد بن محمد الأنصاري الدمشقي الشافعي. أفتى وناظر وخطب بدمشق وكان من جلّة العلماء، له سمت ووقار وتواضع. توفي سنة ٦٦٢ اثنتين وستين وستمائة. (البداية والنهاية: ١٣/٢٤٣، شذرات الذهب: ٥/٣٠٩).

(٤) المفتي جمال الدين عبدالرحمن بن سالم بن يحيى الأنباري ثم الدمشقي الحنبلي المتوفى سنة ٦٦١ واحد وستين وستمائة. (تذكرة الحفاظ: ٤/١٤٥٣).

(٥) المفتي المعمّر، جمال الدين أبو زكريا يحيى بن أبي منصور بن أبي الفتح بن رافع الحرّاني الحنبلي، ويعرف بابن الحبيشي. سمع بحرّان وبغداد ودمشق. كان إماماً عالماً متفنناً صاحب عبادة وتهجد وصفات حميدة، توفي سنة ٦٧٨ ثمان وسبعين وستمائة. (شذرات الذهب: ٥/٣٦٣).

(٦) تقي الدين أبو إسحق إبراهيم بن علي بن أحمد بن فضل الواسطي، الفقيه الحنبلي، الزاهد، شيخ الإسلام، بركة الشام، قطب الوقت. رحل في طلب العلم والحديث. وُليّ في آخر عمره مشيخة دار الحديث الظاهرية. كان كثير القدْر، له وقع في القلوب، يعود المرضى ويشهد الجنائز، ويعظم الحرمات، وكان من خيار عباد الله.

مسموعاته

ومن مسموعاته: الكتب السّتة[1]، والموطّأ[2]، ومسانيد الشافعي وأحمد والدارمي وأبي عوانة وأبي يعلى، وسنن الدارقطني والبيهقي، وشرح السنّة[3] للبغوي وتفسيره، والأنساب للزبيري، والخطب النباتية[4]، ورسالة القشيري، وعمل اليوم والليلة لابن السُّنِّي[5]، وأدب السامع والراوي للخطيب[6]، وغير ذلك.

وسمع منه خلْقٌ من العلماء والحفاظ والصدور والرؤساء، وتخرّج به خلْقٌ كثير من الفقهاء، وسار علمه وفتاويه في الآفاق، وانتفع الناس في سائر البلاد الإسلامية بتصانيفه وأكبّوا على تحصيلها.

قال ابن العطّار:

حرصه على عدم تضييع وقته

وذكر لي أنه كان لا يضيع وقتاً في ليل ولا نهار، إلاّ في وظيفة من

= توفي سنة ٦٩٢ اثنتين وتسعين وستمائة. (البداية والنهاية: ١٣/٣٣٣، شذرات الذهب: ٥/٤١٩).

(١) هي: صحيح البخاري، صحيح مسلم، الجامع للترمذي، السُّنَن لأبي داوُد، سُنن النسائي، سُنن ابن ماجه.

(٢) الموطّأ: (في الحديث) للإمام مالك بن أنس، إمام دار الهجرة المتوفى سنة ١٧٩ تسع وسبعين ومائة. وهو كتاب قديم مبارك قصد فيه جمع الصحيح.

(٣) شرح السُنّة: للإمام حسين بن مسعود البغوي، المتوفى سنة ٥١٦ ست عشرة وخمسمائة.

(٤) الخطب النباتية: (في الأدبيات) لأبي يحيى عبدالرحمن بن محمد بن محمد الفارقي، المتوفى سنة ٣٧٤ أربع وسبعين وثلاثمائة، ولها شروح.

(٥) عمل اليوم والليلة: للإمام الحافظ أحمد بن محمد المعروف بابن السنّي الدينوري المتوفى سنة ٣٦٤ أربع وستين وثلاثمائة. وهو أجمع الكتب في هذا الفن.

(٦) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للإمام أحمد بن علي بن ثابت البغدادي، المعروف بالخطيب، المتوفى سنة ٤٦٣، ثلاث وستين وأربعمائة.

الاشتغال بالعلم. حتى في ذهابه في الطريق ومجيئه[1]، يشتغل في تكرار [محفوظه][2] أو مطالعة، وأنه بقي على التحصيل على هذا الوجه نحو سنين. ثم اشتغل بالتصنيف والاشتغال والإفادة، والمناصحة للمسلمين ووُلاتهم، مع ما هو عليه من المجاهدة لنفسه والعمل بدقائق الفقه، والاجتهاد على الخروج من خلاف العلماء وإن كان بعيداً، والمراقبة لأعمال القلوب وتصفيتها من الشوائب، يحاسب نفسه على الخطرة [بعد الخطرة][3]. وكان محققاً في علمه وفنونه، مدققاً [ ][4]، حافظاً لحديث رسول الله ﷺ، عارفاً بأنواعه كلها [من صحيحه وسقيمه][5] وغريب [ألفاظه][6] ومعانيه واستنباط فقهه، حافظاً لمذهب الشافعي وقواعده وأصوله وفروعه، ومذاهب الصحابة والتابعين واختلاف العلماء ووفاقهم وإجماعهم، سالكاً طريق السلف. قد صرف أوقاته كلّها في الخير: فبعضها للتأليف، وبعضها للتعليم، وبعضها للصلاة، وبعضها للتلاوة بالتدبر، وبعضها للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

اشتغاله بالتصنيف ومجاهدة النفس

قال الكمال الأُدْفوي في البدر السافر[7]: ونُوزع مرة في النقل عن الوسيط فقال: «أتنازعوني وقد طالعته أربعمائة مرة؟».

قال ابن العطّار:

هيئة صلاته

وذكر لي أبو عبدالله بن أبي الفتح البُعلي الحنبلي العلامة، قال:

---

(١) في E: وإيابه.

(٢) ساقطة في الأصلين. وإثباتها من السخاوي: ١١.

(٣) ساقطة في: B.

(٤) [في علمه وكل شؤونه] كما في السخاوي: ٥٦.

(٥) (٦) ساقطة في الأصلين. وأثبتناها من المصدر السابق.

(٧) البدر السافر وتحفة المسافر: في الوفيات، لكمال الدين جعفر بن تغلب الأُدْفوي (نسبة لأُدفو: بلد بصعيد مصر) المؤرخ الشافعي، المتوفى سنة ٧٤٩، تسع وأربعين وسبعمائة.

كنت ليلة في جامع دمشق والشيخ واقف يصلي إلى سارية في ظلمة وهو يردّد قوله تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾[1] مراراً بحزن وخشوع، حتى حصل عندي من ذلك ما الله به عليم. وكان إذا ذَكر الصالحين، ذكرهم بتعظيم وتوقير واحترام، وذكر مناقبهم.

وأخبرني الشيخ القدوة المسلك ولي الدين أبو الحسن المقيم بجامع بيت لهيا[2] قال: «مرضت بالنِّقْرِس[3] في رجليّ فعادني الشيخ محيي الدين فلمّا جلس عندي جعل يتكلم في الصبر فكلما[4] تكلم جعل الألم يذهب قليلاً قليلاً [ ][5] حتى زال، فعرفت أنه من بركته».

تقشفه في عيشه

وكان لا يدخل الحمّام ولا يأكل في اليوم والليلة إلاّ أكلة واحدة بعد العشاء ولا يشرب إلاّ شربة واحدة عن السحر ولا يشرب المبرّد - أي الملقى فيه الثلج -، ولم يتزوج.

قال ابن العطّار:

وأخبرني العلاّمة رشيد الدين الحنفي[6] قال: عذلت الشيخ[7] في

---

(١) سورة الصافات: الآية ٢٤.
(٢) بيت لِهْيا: (بيت الإلاهة)، وهي قرية مشهورة بغوطة دمشق.
(٣) النِّقْرِس: مرض مؤلم يحدث في مفاصل القدم وفي إبهامها أكثر. وهو ما كان يُسمّى داء الملوك.
(٤) في B: فلمّا.
(٥) [فلم يزل يتكلم فيه] كما عند السخاوي.
(٦) إسماعيل بن عثمان بن محمد بن عبدالكريم الحنفي المعروف بابن المعلم، رشيد الدين. قدم القاهرة في زمن التتار فأقام بها وكان قد عرض عليه القضاء بدمشق فأبى، كان من أعلام الفقهاء والمفتين، وكان بصيراً في العربية رأساً في المذهب ولديه علوم شتى وفوائد وفرائد، وكان ديّناً مقتصداً في لباسه متزهداً.(البداية والنهاية: ١٤/٧٢، الدرر الكامنة: ١/٣٩٤).
(٧) أي: لُمته.

تضييق عيشه [ ][1] وقلت له: أخشى عليك مرضاً يعطّلك عن أشياء أفضل مما تقصده، فقال: «إنّ فلاناً صام وعبد الله حتى اخضرّ عظمه».
قال: فعرفت أنه ليس له غرض في المقام في هذه الدار ولا يلتفت[2] إلى ما نحن فيه.

قال[3]: «ورأيت رجلاً من أصحابه قشّر خيارة ليطعمه إيّاها، فامتنع من أكلها وقال: أخشى أن ترطّب جسمي وتجلب النوم».

قال الأدفوي في البدر السافر: حكى لي قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة[4] أنه سأله عن نومه فقال: «إذا غلبني النوم استندت إلى الكتب لحظة وأنتبه». قال: وحكى لي أيضاً أنه كان إذا أتى إليه ليزوره يضع بعض الكتب على بعض ليوسع له موضعاً يجلس فيه.
قال: وكان لا يجمع بين إدامين[5] ولا يأكل اللحم إلا عندما يتوجه إلى نوى.

قال: وحكى عنه قاضي القضاة جمال الدين الزرعي[6] أنه كان

---

(١) [في أكله ولباسه وجميع أحواله] كما عند السخاوي.
(٢) عند السخاوي: (ولا الالتفات)، ولعلّها الأصوب.
(٣) ابن العطّار.
(٤) قاضي القضاة، شيخ الإسلام، بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد بن جماعة الكناني الشافعي، سمع الحديث واشتغل بالعلم وحصل علوماً متعددة وأفتى ودرّس. جُمع له بين القضاء والخطابة ومشيخة الشيوخ، كل هذا مع الرئاسة والديانة والصيانة والورع وكفّ الأذى. توفي سنة ٧٣٣ ثلاث وثلاثين وسبعمائة. من تصانيفه: إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل، وغرر التبيان في تفسير القرآن. (البداية والنهاية: ١٤/١٦٣، شذرات الذهب: ٦/١٠٥، هدية العارفين: ٢/١٤٨).
(٥) الإدام: هو ما يُستمرأ به الخبز.
(٦) قاضي القضاة أبو الربيع، سليمان بن عمر بن سالم بن عمر بن عثمان، جمال الدين الزرعي ناب في الحكم بزرع مدة فعرف بالزرعي لذلك وإنما هو من أذرعات وأصله من =

يتردد إليه وهو شاب، قال: فجئت إليه في يوم فوجدته يأكل خزيرة مدخنة[1]، فقال سليمان: كُلْ. فلم يطب له، فقام أخوه وتوجّه إلى السوق وأحضر شويّاً[2] وحلوى، وقال له: كُلْ. فلم يأكل. فقال: يا أخي، أهذا حرام؟ فقال: لا، ولكنه طعام الجبابرة.

قال ابن العطّار:

ورعه وكان لا يأكل [ ][3] فاكهة دمشق فسألته عن ذلك فقال: «دمشق كثيرة الأوقاف وأملاكِ من هو تحت الحجر [ ][4]، والتصرف [في ذلك][5] لا يجوز إلاّ على وجه الغبطة[6]، والمعاملة فيها على وجه المساقاة[7]، وفيها خلاف بين العلماء، ومن جوّزها شَرَط الغبطة، والناسُ لا يفعلونها[8] إلاّ على جزء من ألف جزء من الثمرة للمالك، فكيف تطيب نفسي لأكلِ ذلك؟».

= بلاد المغرب، ولي القضاء مرات عدة، وكان قوي النفس لا يطلب رزقاً، عفيف اليد في أحكامه، توفي سنة ٧٣٤ أربع وثلاثين وسبعمائة. (طبقات السبكي (ح): ١٠٥/٦، البداية والنهاية: ١٦٧/١٤، شذرات الذهب: ١٠٧/٦).

(١) الخزير: الحَساء من الدسم والدقيق، والخزيرة المدخنة: التي يعلوها الدُّخان وهي في القِدْر.

(٢) أي لحماً مشوياً.

(٣) [من]، ساقطة في الأصلين، والصواب إثباتها كما في السخاوي: ٣٧.

(٤) [شرعاً]، كما في السخاوي:

(٥) في E: لهم، وفي B: (ساقطة)، ولعل الصواب ما أثبتناه، كما في ترجمة النووي للسخاوي: ٣٧.

(٦) الغبطة: أن يتمنى المرء ما للمغبوط من النعمة من غير أن يتمنى زوالها عنه، والمراد بها هنا: تحسين الحال.

(٧) المساقاة؛ ومنها: ساقى فلانٌ فلاناً أو أرضَه: أي دفعها إليه واستعمله فيها ليعمرها ويسقيها ويقوم بإصلاحها، على أن يكون له سهم معلوم من الريع والمحصول.

(٨) أي لا يلتزمون بشرط الغبطة.

قال: وقال لي[1] الشيخ العارف المحقق أبو عبدالحليم محمد الأخميني: كان الشيخ محيي الدين سالكاً منهاج الصحابة، ولا أعلم أحداً في عصرنا سالكاً منهاجهم غيره.

ثناء الأخميني عليه

قال: وكتب شيخنا أبو عبدالله محمد بن الظهير الإربلي الحنفي[2]، شيخ الأدب في وقته، تصحيح التنبيه[3] للشيخ [وسألني مقابلتي معه بنسختي][4]، ليكون له عنه رواية [مني][5] فلمّا فرغه قال لي: ما وصل ابن الصلاح إلى ما وصل إليه الشيخ من الفقه والحديث واللغة وعذوبة اللفظ والعبارة.

ثناء الظهير الإربلي عليه

وقال الأسنوي[6]: كان يلبس ثوباً قطناً وعمامة سختيانيّة[7]، وكان في لحيته شعرات بيض وعليه سكينة ووقار في حال البحث [ ][8] وغيره.

لباسه

وقال الشيخ تقيّ الدين السبكيّ: ما اجتمع بعد التابعين المجموع الذي اجتمع في النووي(*).

ثناء التقي السبكي عليه

---

(١) ساقطة في: B،

(٢) الشيخ مجد الدين، محمد بن أحمد بن أبي شاكر، أبو عبدالله بن الظهير الإربلي الحنفي، الأديب. سمع ببغداد ودمشق، تدرّب وتخرّج به جماعة منهم ابن العطّار. كان من كبار الحنفيّة وكان ذا رأي منتقى، كان بارعاً في النحو واللغة وهو من أعيان شيوخ الأدب وفحول المتأخرين في الشعر. توفي سنة ٦٧٧ سبع وسبعين وستمائة. (فوات الوفيات: ٣/٣٠١، البداية والنهاية: ١٣/٢٨٢، شذرات الذهب: ٥/٣٥٩).

(٣) العمدة في تصحيح التنبيه.

(٤) (٥) سقط في الأصلين، ويقضي السياق إثباته، كما في السخاوي.

(٦) طبقات الشافعية: ٢/٤٧٧ (ترجمة الأسنوي).

(٧) مصنوعة من السَّختيان، وهو جلد الماعز وقد دُبغ.

(٨) [مع الفقها]، ذكرها الأسنويّ.

(*) ذكر الناسخ: (في الحاشية عند هذه العبارة مكتوب: هذه فضيلة عظيمة لمحيي الدين النووي).

ذكر كرامة له

ورأيت في مجموع بخط الشيخ شمس الدين العيزري الشافعي[1]، أنّ بوّاب الرَّواحية حكى قال: خرج الشيخ في الليل فتبعته، فانفتح له[2] الباب بغير مفتاح، فخرج ومشيتُ معه خطوات، فإذا نحن بمكّة، فأحرم الشيخ وطاف وسعى، ثم طاف إلى أثناء الليل ورجع، فمشيت خلفه فإذا نحن بالرَّواحيَّة.

توليه مشيخة دار الحديث الأشرفية

قال الذّهبي: وتولّى مشيخة دار الحديث الأشرفيّة بعد موت أبي شامة[3] سنة خمسة وستين، وفي البلد من هو أسنُّ منه وأعلى سنداً، فلم يأخذ من معلومها شيئاً إلى أن مات.

اشتغاله بالتعليم

قال ابن العطّار: وأقرأ بها بحثاً وشرحاً صحيحي البخاري ومسلم، وقطعة من أبي داود[4]، ورسالة القشيري، وصفوة الصفـوة[5]، والحجة

---

(١) شمس الدين، محمد بن محمد الخضري الزّبيدي العيزري الغزّي الشّافعي، تفقّه وأخذ العلم بالقاهرة ثم بدمشق. صنّف تصانيف في عدة فنون، وكتب على أسئلة من عدة علوم، وله مناقشة على جمْع الجوامع وذكر أنه شرحه، واختصر القوت للأذرعي، وله تعليق على الشرح الكبير للرّافعي. توفي سنة ٨٠٨ ثمان وثمانمائة. (شذرات الذهب: ٧/٧٩، الضوء اللامع: ٩/٢٢٠).

(٢) ساقطة في: B.

(٣) الشيخ الإمام العـالم، الحافظ المحـدّث، الفقيه المؤرِّخ، عبـدالرحمن بن إسمـاعيل بن إبراهيم، شهاب الدين المقدسي الدمشقي، المعروف بـأبي شامـة. شيخ دار الحـديث الأشرفية، ومدرس الركنية، برع في فنون العلم وعُنِيَ بالحديث، وهو صاحب التصانيف المفيدة الكثيرة، له اختصار تاريخ دمشق في مجلدات عدة، وله شرح الشاطبية، وكتاب الروضتين في أخبار الدولتين، وغير ذلك. قال بعضُهم إنه بلغ رتبة الاجتهاد، كان على قدر من الدِّيانة والعِفّـة والأمانـة. امتُحن وقتل مـظلوماً، سنـة ٦٦٥، خمس وستين وستمائة. (تذكرة الحفاظ: ٤/١٤٦٠، طبقات السبكي: ٨/١٦٥، البداية والنهاية: ١٣/٢٥٠).

(٤) في الحديث.

(٥) صفوة الصفوة: مختصر حلية الأولياء، لأبي الفرج عبدالرحمن بن علي المعروف بابن الجوزي، المتوفى سنة ٥٩٧ سبع وتسعين وخمسمائة.

على تارك المحجّة[1] لنصر المقدسي وغير ذلك[2].

شهادة تلميذه ابن فرح فيه

قال: وذكر لي تلميذه أبو العباس بن فرح[3] قال: كان الشيخ محيي الدين قد صار إليه ثلاث مراتب، كل مرتبة منها لو كانت لشخص، لشدت إليه آباط الإبل[4] من أقطار الأرض.

المرتبة الأولى: العلم والقيام بوظائفه.

الثانية: الزهد في الدّنيا.

الثالثة: الأمر بالمعروف والنّهي عن المُنكر.

كرامة له يرويها الشيخ أبو القاسم المزي

قال: وأخبرني الشيخ الصَدُوق أبو القاسم المِزيّ - وكان من الأخيار - أنّه رأى في النوم بالمِزَّة[5] رايات كثيرة وطبلاً يُضرب، قال: فقلت: ما هذا؟ فقيل لي: الليلة قُطِّب[6] يَحيى النَّوويّ، فاستيقظتُ من منامي ولم أكن أعرف الشيخ ولا سمعت به قبل ذلك، فدخلتُ دمشق في

---

(١) الحجّة على تارك المحجّة: يتضمّن ذكر أصول الدين على قواعد أهل الحديث والسُنّة، للشيخ أبي الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي الشافعي، الفقيه الزاهد المتوفى سنة ٤٩٠ تسعين وأربعمائة.

(٢) في B: وغيره.

(٣) شهاب الدين أبو العباس أحمد بن فرح بن أحمد اللخمي الإشبيلي الشافعي، المحدّث الحافظ. كان له حلقة اشتغال بجامع دمشق وكان ذا ورع وعبادة وصدق. له شرح على الأربعين حديثاً النّووية، ومن نظمه الرائق قصيدته التي أوّلها: غرامي صحيح والرجا منك معضل (القصيدة الغراميّة: منظومة في ألقاب الحديث) توفي سنة ٦٩٩ تسع وتسعين وستمائة. (تذكرة الحفاظ: ١٤٨٦/٤، شذرات الذهب: ٤٤٣/٥).

(٤) واحدها (إبط): وهو باطن المنكب والجناح. وشدت إليه آباط الإبل: سُيِّرَت إليه.

(٥) المِزّة: قرية كبيرة غنّاء في وسط بساتين دمشق، بينها وبين دمشق نصف فرسخ (والفرسخ مقياس من مقاييس الطول يُقدّر بثلاثة أميال).

(٦) قُطِّب: جعل قُطباً، أي سيّداً.

حاجة فذكرت ذلك لشخص، فقال: هو شيخ دار الحديث، وهو الآن جالسٌ فيها، فدخلتُها، فلمّا وقع بصرُه عليَّ، نهض إلى جهتي وقال: «اكْتُم ما معك ولا تُحدِّثُ به أحداً»، ثمّ رجع إلى موضعه.

ورأيت في الـدُّرَر الكامنـة[1] لشيخ الإسـلام حـافظ العصـر أبي الفضل بن حَجَر[2]: قال الشيخ محيي الدين لتلميذه الشيـخ شمس الدّين ابن النّقيب[3]: «يا شيخ شمس الدين، لا بُدّ أن تَلِيَ الشاميَّة البرانيّة». فما مات حتى وُلِّيَها.

وكرامة أخرى له عن الشيخ فرج الصفدي

ورأيت فيها عن بعضهم، قال: توجّهتُ لزيارة الشيخ فرج الصفدي الزاهد، فجرت مسألة النّظر إلى الأمْرَد[4]، وأنّ الرافعي حـرّمه بشـرط الشّهوة، والنّوويّ يقول: يَحرُم مُطْلَقاً. فقال الشيخ فرج: رأيت النبيَّ ﷺ في المنام، فقال لي: «الحقُّ في هذه المسألة مع الشيخ النّوويّ». وكان

---

(١) الدرر الكامنة: ٤/ ١٩.

(٢) شيخ الإسلام، أمير المؤمنين في الحديث، شهاب الدين أبو الفضل، أحمد بن علي بن محمد الكنانيّ العسقلاني الشافعي، الشهير بابن حجر، محدّث ومؤرخ وأديب. بـاشر القضاء في مصر مراراً ثم اعتزل. أخذ عنه العلم خلق كثير. نظم الشعر وصنّف في التاريخ. ولع بالشعر ونظمه، ثم أقبل عـلى الحديث حتى أصبـح حافظ الإسـلام في عصره، له تصانيف كثيرة في الحـديث والتاريـخ والأدب والفقه بلغت مئـة وخمسين مؤلفاً. توفي سنة ٨٥٢، اثنين وخمسين وثمانمائة. (شذرات الذهـب: ٧/ ٢٧٠، الضوء اللامع: ٢/ ٣٦).

(٣) شمس الدين، محمد بن أبي بكر بن إبراهيم بن النقيب، في طبقات الأسنوي: أخذ شيئاً من الفقه على الشيخ محيي الدين النووي وخدمه. وُلي قضاء حمص فطرابلس ثم حلب، ثم صُرف عنها وعاد إلى دمشق ثم تولّى تدريس الشاميّـة البرّانيّـة. قال السبكي: له الدّيانة والعفّة والورع الذي طرد به الشيطان وأرغم أنفه. كان من أساطين المذهب. توفي سنة ٧٤٥ خمس وأربعين وسبعمائة. (طبقات الأسنوي: ٢/ ٥١٢، الدرر الكامنة: ٤/ ١٩، شذرات الذهب: ٦/ ١٤٤).

(٤) الأمْرَد: من بلغ ولـم يبدُ شاربه ولحيته.

الشيخ مُحيي الدين إذا جاءه أمردُ يقرأ عليه، امتنع، وبعث به إلى الشيخ أمين الدين الحلبي، لعِلْمه بدينه وصيانته.

تعظيم والد التاج السبكي للنووي

وقال الشيخ تاج الدين السبكي في الترشيح[1]: رافق الوالدُ مرّة وهو راكبٌ على بغلته شيخاً عامّيّاً ماشياً، فتحادثا، فوقع في كلام ذلك الشيخ أنّه رأى النَّوويّ، ففي الحال، نزل عن بغلته، وقبّل يَدَ ذلك الشيخ العاميّ وسأله الدُّعاء، وقال له: اِرْكَبْ خلفي، فلا أركبُ وَعَيْنٌ رأت وَجَهَ النّووي تمشي بين يديَّ. وكان الوالد سكن دار الحديث الأشرفيّة، وكان يخرج في الليل يتهجّد ويمرّغ خدّيْه على الأرض فوق البِساط الذي يُقال إنّه مِنْ زمن الواقف[2]، ويُقال إنّ النّوويّ كان يدرس عليه. ويُنشد[3]:

[من الوافر]

وفي دارِ الحَديث لَطيفُ معنىً ... على بُسُطٍ لها أَصْبو وآوي[4]
عسى أنّي أَمسُّ بِحُرِّ وَجهي ... مكاناً مسّه قَدَمُ النَّواوي[5]

---

(١) ترشيح التوشيح وترجيح التصحيح: للإمام تاج الدين عبدالوهاب بن تقي الدين السبكي الشافعي المتوفى سنة ٧٧١، واحد وسبعين وسبعمائة. والتوشيح كتاب له في الفقه.

(٢) الملك الأشرف، مظفر الدين، أبو الفتح موسى بن العادل. تملّك دمشق تسع سنين، فأحسن وعدل وخفّف الجور، ولما فتحها اشترى دار قايماز النجمي وجعلها دار حديث، وبنى الكثير من المساجد وزاد وقف دار الحديث النورية، كان جواداً عادلاً سخيّاً متواضعاً للصالحين، وكان حلو الشمائل، محبباً إلى رعيّته موصوفاً بالشجاعة، لم تكسر له راية قط. توفي سنة ٦٧٩، تسع وسبعين وستمائة. (البداية والنهاية: ١٣/٢٩٩، شذرات الذهب: ٥/١٧٥).

(٣) طبقات السبكي: ٨/٣٩٦، والسخاوي: ٦.

(٤) أصبو؛ صبا إليه: حنّ وتشوّق.

(٥) حُرّ الوجه: الجزء الظاهر منه.

ذكر بعض من أخذ عنه

منهم:

الشيخ علاء الدين بن العطّار، والشيخ شمس الدين بن النّقيب، والعلّامة شمس الدين بن جعوان[1]، والشيخ شمس الدين القمّاح[2]، والحافظ جمال الدين المِزّي[3]، وقاضي القضاة بدر الدين بن جماعة، والعلّامة رشيد الدين الحنفي، والمحدّث أبو العبّاس بن فرح الإشْبيلي، وخلائق غيرهم.

---

(١) الإمام الحافظ المتفنن، النحويّ، شمس الدين محمد بن محمد بن عباس بن أبي بكر بن جعوان، الأنصاري الدمشقي، الشافعي. أحد من برع في العربية على ابن مالك، ثم عُني بالحديث. كان مليح الشكل، حسن البزّة، كيّس العشرة، ثبتاً فيما يقول. توفي سنة ٦٨٢ اثنتين وثمانين وستمائة. (تذكرة الحفاظ: ١٤٩١/٤).

(٢) محمد بن أحمد بن حيدرة بن علي بن عُقَيْل، المصري، شمس الدين، أبو عبدالله بن القمّاح الفقيه الشافعي. تفقّه ومهر وأفتى ودرّس وحدّث. كان محباً في العلم وأهله خصوصاً أصحاب الحديث. توفي سنة ٧٤١ واحد وأربعين وسبعمائة. (ذيل تذكرة الحفاظ: ١١١، الدرر الكامنة: ٣٩١/٣).

(٣) الحافظ الكبير جمال الدين، أبو الحجّاج بن زكي الدين بن عبدالرحمن بن يوسف، الإمام العلامة، الحافظ الكبير، المِزيّ، الشافعي، الشهير بابن الزكيّ. قال ابن قاضي شهبة: شيخ المحدّثين، عمدة الحفاظ، أعجوبة الزمان، الدمشقي، المِزّي. نشأ بالمِزّة، قرأ شيئاً من الفقه على المذهب الشافعي وحصل طرفاً من العربيّة وبرع في التصريف واللغة ثم شرع في طلب الحديث بنفسه وله عشرون سنة. قال الذهبي: إليه المنتهى في معرفة الرِّجال وطبقاتهم، كان ينطوي على سلامة باطن ودين وتواضع =

ذكــر تصانيفــه

طريقة النووي في التصنيف

قال الشيخ جمال الدين الأسنوي في أوائل المهمات: اعلَمْ أنّ الشيخ مُحيي الدين رحمَهُ الله، لما تأهّل للنظر والتحصيل، رأى المسارعة إلى الخيرات، أنْ جعل ما يحصّلُه ويقف عليه تصنيفاً ينتفع به النّاظر فيه، فجعل تصنيفه تحصيلاً وتحصيله تصنيفاً، وهو غرضٌ صحيح وقصدٌ جميل، ولَوْلا ذلك لم يتيسّر له من التصانيف ما تيسّر له. وأمّا الرّافعي فإنّه سَلَك الطّريقة العالية فلم يتصدّر للتأليف إلّا بعد كمال انتهائه، وكذا ابن الرّفعة. رحْمَةُ الله عليْهِم أجمعين وَنَفَعَنا بهم.

وقال الأَذْرعيّ في أول التوسّط والفتح: بلغني أنّ الشيخ مُحيي الدين كان يكتب إلى أن يعيى، فيضع القلم ليستريح، ويُنشد:

[من الطويل]

لئن كان هذا الدمعُ يجري صبابةً   على غير سُعْدَىٰ فهو دمعٌ مَضِيْعٌ[1]

وذكر ابن العطّار في تأليف له في الشعر، أنّ الشيخ لم ينظُمْ شِعراً قطّ.

= وفراغ عن الرّئاسة وحسن سمت وقلة كلام وحسن احتمال. توفي سنة ٧٤٤ أربع وأربعين وسبعمائة. من تصانيفه: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، أطراف الكتب الستّة، أمالي في الحديث. (تذكرة الحفاظ: ٤/١٤٩٨، شذرات الذهب: ٦/١٣٦، هدية العارفين: ٢/٥٥٦).

(١) عجُز البيت في مرآة الجنان ٤/١٨٦: على غير ليلى فهو لا شك ضائع.

الكلام على كتابه الروضة.

فَمِنْ تصانيفه:

ـ الرّوضة[1]؛ مختصر الشرح الكبير للرّافعي، وهو بخطّه، في أربع مجلّدات ضخمات مائة كرّاس، وتقع غالباً في ست مجلدات وثمانية. ورأيت بخطّه فيها أنه ابتدأ في تأليفها يوم الخميس، الخامس والعشرين من رمضان سنة ست وستّين وستمائة، وختمها يوم الأحد خامس عشر شهر ربيع الأول سنة تسع وستين وهي عُمدة المذهب الآن. وفيها يقول الأسنوي في المهمّات: وكانت أنفس ما تأثّر من تصانيفه لبركات أنفاسه، وتأتي من ثمرات غِراسه، غرس فيها أحكام الشرع ولقّحها، وضمّ إليها فروعاً كانت منتشرة فهذّبها ونقّحها، فلذلك علا يُنبوعها وبَسَقَتْ فروعُها وطابت أُصولُها ودَنَتْ قطوفها. إلى أن قال: وتلك منقبة قد أطاب الله ذِكرها وثناها، وموْهبة منقبة قد رفع سَمْكها وبناها، ومن أَسرّ سَرِيْرة حسنة أَلْبَسَهُ الله رِداها.

وفي الجواهر: فإنّ الروضة لما جمعت أشتات المذهب وقطعت أسباب علق المطلب، لاشتمالها على أحكام الشرح الكبير، واختصاصها بزيادات أحجم عنها الكثير، وردت من قبول الكافة مورداً يصدر[2] فيه البعض، وعقدت لوقوفهم عند حكمها مَوثقاً فلن تَبْرَح الأرض، فلذلك تمسّكوا بفروعها وأغصانها، وتعلّقوا بأصولها وأقبالها، حتى صارت مَنْزِل قاصدهم ومَنْهَل واردهم. وقد استدرك فيها على الإمام الرّافعي في التصحيح مواضع جمّة، وزاد عليها مَسائل وقُيوداً وشروطاً. وقد أَفْرَد بعضُهم زِياداتها في مجلّدَيْن لَطِيفين.

---

(١) روضة الطالبين وعمدة المفتين، في فقه المذهب الشافعي، مختصر (فتح العزيز في شرح الوجيز) للإمام الرّافعي.

(٢) في E: لا مصدر.

وقد ذكر الأذرعيّ في التوسّط أنه همّ قبل موته بغسلها[1]، فقيل له: سارت بها الرّكبان. فقال: «في نفسي منها أشياء».

وقد أكثر الناس من الكتابة عليها والكلام على مواضع وتصحيحات فيها، ظاهرها التناقض، ومواضع فيها مخالفة لِما في الشرح، كالأسنويّ والأذرعيّ والبلقيني والزركشي وغيرهم. وقد ذكر أن سبب ما وقع فيها مخالفاً للشرح أنه اختصرها من نسخة منه سقيمة مع أنّه بحمد الله أجيب عن كثير مما زيّفوه، وجمع بين غالب ما زعموا تناقضه، وقد شرعت في تلخيص أحكامها من غير ذكر خلاف وضَمَمْت إليها زيادات شرح المهذّب وبقيّة تصانيفه وتصانيف من بعده، كابن الرّفعة والسبكي والأسنويّ وغيرهم، ووصلت فيه الآن إلى أن أعان الله على إتمامه[2].

ومنها:

الكلام على شرح صحيح مسلم

ـ شرح صحيح مسلم سمّاه بالمنهاج[3]، قريب من حجم الرّوضة.

الكلام على كتاب المجموع

ـ وشرح المهذّب سمّاه بالمجموع[4]، وقد وصل فيه ـ **قال ابن العطّار** ـ إلى باب المجراة[5]. وقال الأسنوي إلى أثناء الرِّبا، وهو قدْر الروضة مرة ونصف أو هو أكثر. وقد ذكر في خطبته أنه كتب قبل ذلك شرحاً مبسوطاً جداً، وصل فيه إلى أثناء الحيض، في ثلاث مجلدات ضخمات، ثم رأى أن ذلك يكون سبب قلّة الانتفاع به لِكِبَرِهِ فعدل عنه، ولم يتفق له أنه سمّى شيئاً من تصانيفه في الخطبة إلّا هذا الشّرح.

---

(١) أي: محوها.

(٢) العبارة ناقصة، إذ لم يُعلم إلى أين وصل.

(٣) «المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجّاج». قال السخاوي: هو عظيم البركة.

(٤) المجموع شرح المهذّب للإمام الشيرازي، من أعظم الكتب التي ألّفت في الفقه. قال الذهبي: إنه في غاية الحسن والجودة. وقال قاضي صفد: إنه لا نظير له.

(٥) كذا في الأصلين، ولم أقف على معنىً لها.

قال الأسنويّ: وهذا الشرح من أجلّ كتبه وأنفسها، وكلامه فيه يدلُّ على أنه اطّلع على أنّه يموت قبل إتمامه، فإنّه يجمع النظائر في موضع ويقول [معلناً ذلك][1]: فلعلّنا لا نصل إلى محلّه.

وقال ابن العطّار:

وكتب لي ورقة فيها أسماء الكتب التي كان يجمعه[2] منها وقال: «إذا انتقلتُ إلى الله فأَتِمّه من هذه الكتب».

وقد شرع في تكميله جماعة ولم ينهوه. فكتب الشيخ تقي الدين السبكي من الموضع الذي انتهى إليه [أثناء التفليس][3].

من خطبة التقي السبكي في تكملة المجموع

وفي خطبة تكملته، يقول واصفاً هذا الشرح: «وبعد، فقد رغِب إليَّ بعضُ الأصحاب في أن أُكمل شرح المهذّب، للشيخ الإمام العالم العلامة، عَلَم الزُّهّاد وقُدوة العُبّاد، واحد عصره وفريد دهره، محيي علوم الأوّلين ومهذب سنن الصالحين، أبي زكريّا النّوويّ. وطالت رغبته إليّ، وكثُر إلحاحه عليّ وأنا في ذلك أُقدِّم رجلًا وأؤخِّر أخرى، وأَستهْوِل الخَطْب وأراه شيئاً إمراً، وهو في ذلك لا يقبل عُذراً. وأقول وقد يكون تعرّضي لذلك مع قصوري عن مقام هذا الشارح إساءة إليه وجناية منّي عليه، فإنّني أنهض بما نهض به وقد أُسعف بالتأييد وساعدته المقادير فقرّبت منه كلَّ بعيد. ولا شكّ أنّ ذلك يحتاج بعد الأهليّة إلى ثلاثة أشياء:

(١) ساقطة في: B.

(٢) يقصد: المجموع.

(٣) لعل المعنى يتطلب ما يفيد غاية الانتهاء نحو: إلى.

أحدها: فراغ البال، واتساع الزمان. وقد كان رحمه الله قد أُوتيَ من ذلك الحظ الأوفر، بحيث لم يكن له شاغل عن ذلك من نفسٍ ولا أهل.

الثاني: جمع الكتب، التي استعان بها على النظر والاطلاع على كلام العلماء، وكان رحمه الله قد حصل له من ذلك حظ وافر لسهولة ذلك في بلده في ذلك الوقت.

الثالث: حُسن النيّة وكثرة الورع والزهد والأعمال الصالحة التي أشرقت أنوارها. وكان قد اكتال من ذلك بالمكيال الأوْفى.

فمن اجتمعت فيه هذه الحالات الثلاث، أنّى يضاهيه أو يدانيه مَنْ ليس فيه واحدةٌ منها. فنسأل الله أن يُحسنَ نياتنا، وأن يمدَّنا بمعونته وعوْنه، وقد استخرت الله تعالى وفوضّت الأمر إليه، واعتمدت في كل الأمور عليه وقلت في نفسي لعلّ ببركة صاحبه ونيّته يعينني الله تعالى عليه إنه يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، فإنْ مَنَّ الله تعالى بإكماله، فلا شك من فضل الله ببركة صاحبه ونيته إذ كان مقصوده النفع للناس ممن كان». (اهـ).

كتابه المنهاج

- ومنها: المنهاج مختصر المحرَّر[1]، مجلّد لطيف، ودقائقه نحو ثلاث كراريس. ورأيت بخطه أنه فرغه تاسع عشر شهر رمضان سنة تسع وستين وهو الآن عُمدة الطالبين والمدرّسين والمفتين.

---

(١) منهاج الطالبين، في مختصر المحرّر للرافعي.

قال ابن العطّار:

قال العلامة جمال الدين بن مالك: والله، لو استقبلت من أمري ما استدبرت، لحفظته. وأثنى على حُسن اختصاره وعذوبة ألفاظه. قال:

ما قيل في المنهاج من الشعر

ووقف عليه في حياته العلامة رشيد الدين الفارقي[1] شيخ الأدب فامتدحه بأبيات وقف عليها الشيخ وهي[2]:

[من الرمل]

اعتنى بالفضل يَحيى فاعتنى عن بسيطٍ بوجيزٍ نافع
وتحلّى بتقاهُ فضلُه فتجلّى بلطيفٍ جامع
ناصباً أعلامَ عِلْمٍ جازماً بمقالٍ رافعاً للرافعيّ
فكأنّ ابن الصلاح حاضرٌ وكأنْ ما غاب عنّا الشّافعيّ

وقال فيه الشيخ جمال الدين الأسنوي[3]:

[من الكامل]

يا ناهجاً منهاج غير ناسك دقّت دقائقُ فكره وحقائقُه
بادِرْ لمحيي الدين فيما رُمتَه يا حبّذا منهاجُه ودقائقُه

---

(١) أبو حفص، عمر بن إسماعيل بن مسعود الرَّبعي الفارقي، رشيد الدين. كانت له اليد الطولى في التفسير والمعاني والبيان والبديع والنحو واللغة بحيث انتهت إليه رئاسة الأدب في زمانه. كان له باع في الفقه والأصول والطب، وكان حسن الخط حلو المذاكرة ظريف النادرة، كيّساً فطِناً. أفتى وناظر ودرّس في الناصرية ثم الظاهرية بدمشق. ألّف مقدّمتين في النحو صغرى وكبرى. كان له شعر جيد، ومنه من قصيدة:

مرّ النسيم على الروض البسيم فما شككت أنّ سلمى حلّت السلما
ولاح برقٌ على أعلى الثنيّة لي فخلت برق الثنايا لاح وابتسما

مات رحمه الله مخنوقاً بالظاهرية سنة ٦٨٩ تسع وثمانين وستمائة. (طبقات الأسنوي: ٢/٢٨٦، شذرات الذهب: ٥/٤٠٩).

(٢) تاريخ ابن الفرات: ٧/١١٠، ترجمة النووي للسخاوي: ١٦.

(٣) ترجمة النووي للسخاوي: ١٦.

ويُنسب للشيخ تقيّ الدين السّبكي:

[من الكامل]

مــا صنّف العلمـاء كــالمنهـاجِ   في شِــرعـةٍ سَلَفَتْ ولا مِنهـاجِ
فـاجْهـدْ على تحصيلِه مُتيـقّنـاً   أنَّ الكِفـايـةَ فيـه للمحتـاجِ

ولبعضهم:

[من الكامل]

الشيخ مُحيي الدين هو القطبُ الذي   طَلَعتْ شموسُ العِلْم من أبراجِـهِ
لا يرتقي أحدٌ إلى شَـرَفِ العُلى   إلّا فتىً يمشـي على منهـاجِـهِ

وقلتُ أنا:

[من الكامل]

للنّاس سُبلٌ في الهـداية والهـوى   مـا بـيْن إصبـاحٍ وليـلٍ داجِ
فإذا أردت سلوكَ سُبْلِ المصطفى   حقّـاً فـلا تعـدِل عن المنهـاجِ

وقلتُ: ومن جلالة هذا الكتاب أنّ الشيخ تاج الدين بن الفركاح(1) كتب عليه تصحيحاً، وهو في مرتبة شيوخ الشيخ مُحيي الدين. فإنّه لمّا جاء إلى دمشق، أُحضر إليه ليقرأ عليه، فبعث به إلى الرَّواحيّة. وأيضاً فإنه كان بينهما أخيـراً مقاطعـة، كما ذكـر ذلك الصّـلاح الصّفديّ في تذكِرتـه(2)، وأنه لمّـا توفّي الشيـخ محيي الدين لم يحضـر الشيخ تـاج الدين

(1) عبدالرحمن بن إبراهيم بن ضياء الفزاري، تاج الدين، المعروف بـالفركـاح، الإمام العلامة العالم، شيخ الشافعية في زمانه. اجتمع فيه فنون كثيرة من العلوم النـافعة والأخلاق اللطيفة وفصاحة المنطق وحسن التصنيف وعلوّ الهمّة. كان لطيف اللحية قصيراً حلو الصورة مفركح الساقين ولذلك قيل له الفركاح. وكان مدرّس البادرائية ولم يكن بيده سواها. قال الذهبيّ: جمع تاريخاً مفيداً وصنف التصانيف توفي سنة ٦٩٠ تسعين وستمائة. (طبقات الأسنوي: ٢/١٦٣، البداية والنهاية: ١٤/٣٢٥، شذرات الذهـب: ٥/٤١٣).

(2) التذكرة: لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، الأديب المشهور، المتوفى سنة ٧٩٤، =

للصلاة عليه. ومن العجب أنّ الشيخ علاء الـدين الباجي[1] شيـخ السبكي، اختصر المحرَّر وسمّاه: التحرير، ومولده سنة مولد الشّيخ مُحيي الدين، وانظُر ما بين المختصرَيْن شهرةً واعتماداً.

وقد كنتُ في أوّل اشتغالي، رأيت الشيخ في النوم وكأني حَضَرتُ درسه فقلت له في شأن المنهاج والاعتراضات التي أوردت عليه، فأخذ يصلّح العبارة إلى أن خرج الكتاب عن هيئته، فقلت له: يا سيـدي، اجعل هذا كتاباً على حِدَتِه غيـر المنهاج، [ ][2] لأنـه شرح وحفظ على تلك الهيئة. ثم إنه ركب حماراً عالياً ومشيتُ خَلْفَه مسافةً يسيرة، فأعطاني عمامتَهُ وفارَقْتُه، فانْتَبَهْتُ. ورأيته مرةً أخرى فأنشدني:

مَنْ شَـامَـخَ العـالِمَ في كـلامِـهِ لَـيـذهَـبَـنَّ رَوْنَـقُ انْـتِـظَامِـهِ

فاستيقظتُ وأنا أَحفَظُه.

كتابه تهذيب الأسماء واللغات

- ومنهـا: تهذيب الأسمـاء واللّغات[3]، مجلدان ضخمـان ويقع غـالباً

= أربع وتسعين وسبعمائة. وهو نحو ثـلاثين مجلداً، جمع فيه نـوادر الأشعار ولـطائف الأدبيات نظماً ونثراً.

(١) الشيخ الإمام، علي بن محمد بن عبدالرحمن بن خـطاب الباجي، إمـام الأصوليـين في زمانه، وفارس ميدانه. كان تقياً ورعاً زاهداً مدققاً في خفايا الأمور. وكان فقيهاً متقناً. ومع اتساع باعه في المبـاحث لم يوجـد له كتـاب أطال فيـه النفَس غير كتـاب اليهود والنصارى، بل له مختصرات منها كتاب التحرير، مختصر المحرر، في الفقه، وغيـره. كـانت بينه وبـين الشيخ محيي الـدين النووي صـداقة وصحبـة أكيـدة، ومـوافقـة في الاشتغال. توفي سنة ٧١٤، أربع عشرة وسبعمائة (طبقات السبكي (ح): ٦/٢٢٧).

(٢) لعل هنا سقطاً نحو: فأبى.

(٣) تهذيب الأسماء واللغات، الواقعة في المختصر للمزني، والوسيط، والوجيز، والتنبيه، والمهذّب، والروضة. يمتاز الكتاب بالضبط والتحقيق والتحري عن الصواب، لم يتمّه، ولكنّه ترك قطعة كبيرة منه. قال قاضي صفد: ما أكثر فوائـده، وما أعمّ نفعـه، لا يستغني طالب علم عنه.

في أربعة. قال الأسنوي: وقد مات عنه مسوّدة، وبيّضه الحافظ جمال الدين المِزّي، وفي هذا شيء: فقد وقفتُ على المجلّد الأوّل بخطّه مبيَّضاً بالخزانة المحموديّة، لكنّ فيه بياضات يسيرة.

- ورياض الصالحين[1]، مجلد.

- والأذكار[2] مجلد.

- ونكت التنبيه مجلد، وتسمى التعليقة. قال الأسنوي: وهي من أوائل ما صَنّف. ولا ينبغي الاعتماد على ما فيها من التصحيحات المخالفة لكتبه المشهورة، ولعلّه جمعها من كلام شيوخه. ومما استفدته منها في قص الأظفار أنه يُسنّ البدءُ بمسبِّحة اليد اليُمنى ثم بالوسطى ثم بالبِنْصر ثم بالخنصر، ثم خنصر اليسرى ولاء، ثم يختم بإبهام اليمنى. وفي الرِّجل يبدأ بخنصر اليمنى ويختم بخنصر اليسرى. وذكر لذلك حديثاً ومعنى لطيفاً، ذكرته في دقائق مختصر الروضة.

نكت التنبيه

- والإيضاح في مناسك الحج، مجلد لطيف، والإيجاز فيها. والمناسك الثالث والرابع والخامس.

---

(١) «رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين»: هو مختصر جمعه من الأحاديث الصحيحة، مشتملاً على ما يكون طريقاً لصاحبه إلى الآخرة، جامعاً للترغيب والترهيب والزهد ورياضات النفوس، والتزم فيه أن لا يذكر إلّا حديثاً صحيحاً، وصدّر الأبواب من القرآن، ووشح ما يحتاج إلى ضبط أو شرح، وجعله على مائتي باب وخمس وستين باباً.

(٢) «الأذكار المنتخبة من كلام سيّد الأبرار»: كتاب جليل نفيس لا يُستغنى عنه، ذكر فيه المؤلّف عمل اليوم والليلة، وأذكاراً لمناسبات شتّى، ويضمّ جملاً من النفائس من علم الحديث، ودقائق الفقه، ومهمّات القواعد، ورياضات النفوس، والآداب التي تتأكد معرفتها على السالكين.

التبيان

- والتبيان في آداب حملة القرآن[1]، مجلد.

- ومختصر وشرح التنبيه مطوّل سمّاه: تحفة الطالب النبيه[2]؛ وصل فيه إلى أثناء الصلاة.

الكلام على شرح الوسيط

- وشرح الوسيط المسمّى بالتنقيح. قال الأسنوي: وصل فيه إلى شروط الصلاة. قال: وهو كتاب جليل من أواخر ما صنّف، جعله مشتملاً على أنواع متعلقة به ضرورية كافية لمن يريد كثرة المسائل المأخوذة، والمرور على الفقه في زمن قليل، كتصحيح مسائله، وتوضيح أدلّته وذِكر أغاليطه، وحَلِّ إشكالاته، وتخريج أحاديثه، وأحوال الفقهاء المذكورين فيه، إلى غير ذلك من الأنواع التي أكثر منها. ولم يتعرّض لفروعٍ غير فروع الوسيط. قال: وهي طريقة يتيسّر بها معاً إقراء الوسيط في كل عام مرة.

---

(١) وهو مختصر، يقول السخاوي: نفيس لا يستغنى عنه، خصوصاً للقارىء والمقرىء.
وهو مرتّب على عشرة أبواب:
الأول: في فضيلة تلاوته وحمله.
الثاني: في ترجيح القراءة والقارىء.
الثالث: في إكرام أهلِ القرآن.
الرابع: في آداب المُعلِّم والمتعلم.
الخامس: في آداب حامل القرآن.
السادس: في آداب القراءة.
السابع: في آداب الناس معه.
الثامن: في الآيات والسور المستحبة في بعض الأوقات.
التاسع: في كتابة القرآن وإكرام المصحف.
العاشر: في ضبط ألفاظ الكتاب.
وفي ضمن الأبواب جمل من الفوائد. ثم اختصره وسمّاه: مختار البيان.

(٢) وهو من أوائل ما صنّف.

- ونكت على الوسيط في نحو مجلدين.

- والتحقيق[1]: وصل فيه إلى صلاة المسافر. ذكر فيه غالباً ما في شرح المهذّب من الأحكام، والخلاف على سبيل الاختصار.

- ومهمّات الأحكام. قال الأسنوي: وهو قريب من التحقيق في كَثرة الأحكام، إلاّ أنّه لم يذكر فيه خِلافاً. وقد وصل فيه إلى أثناء طهارة الثوب والبدن.

- وشرح البخاري[2]: كتب منه مجلّدة.
- والعمدة في تصحيح التنبيه.
- والتحرير في لغات التنبيه[3].
- ونكت المهذب.
- ومختصر التذنيب للرافعي سمّاه بالمنتخب. قال الأسنوي: وقد أسقط منه في آخر الفصل السادس أوراقاً فلم يختصرها. ومن هنا تعلم أن قول من قال إن الشيخ محيي الدين لم يعلم بالشرح الصغير وَهَمٌ. فإن الرافعي ذكره في خطبة التذنيب، وقد وقف عليه النووي. نعم، قول من قال: لم يقف عليه، ممكن.

---

(١) في الفقه.

(٢) قال في مقدمته: «وأمّا صحيح البخاري، فها أنا أشرع في جمع كتاب في شرحه، متوسط بين المختصرات والمبسوطات، لا من المختصرات المخلات ولا من المبسوطات المملات، ولولا ضعف الهمّة وقلّة الراغبين في المبسوط، لبلغت به ما يزيد على مائة من المجلّدات، مع اجتناب التكرار والزيادات العاطلات». ولكنه رحمه الله مات قبل أن يتمّه.

(٣) «تحرير التنبيه لكل طالب نبيه»: من أجود كتب اللغة التي تشرح ما في كتاب التنبيه من غريب الألفاظ والمصطلحات الفقهيّة.

- ودقائق الروضة: كتب منها إلى أثناء الأذان.

- وطبقات الشافعية[1]، مجلّد. قال الأسنوي: ومات عنها مسوّدة فبيّضها المزيّ.

- ومختصر الترمذي، مجلّد وقفت عليه بخطه مسوّدة، وبيّض منه أوراقاً.

- وقسمة القناعة ومختصره. قال الأسنوي: وهذا الكتاب من أواخر ما صنف وهو مشتمل على نفائس.

- وجزء في الاستسقاء وجزء في القيام لأهل الفضل. قال الأسنوي: وهما من أواخر تصانيفه وأنفعها.

- ومختصر تأليف الدارمي في المتحيرة، ومختصر تصنيف أبي شامة في البسملة، ومناقب الشافعي[2]. وهذه الكتب الثلاثة أحال عليها هو في شرح المهذّب.

- والتقريب في علم الحديث، والإرشاد فيه.
- والخلاصة في الحديث.
- ومختصر مبهمات الخطيب.
- والإملاء على حديث إنّما الأعمال بالنيات، لم يتمّه.
- وشرح سنن أبي داود [3] كتب منه يسيراً.
- وبستان العارفين[4]، لم يتم.

---

(١) أو «طبقات الفقهاء»: اختصر فيها كتاب أبي عمرو بن الصلاح، وزاد عليه أسماء نبه عليها في ذيل كتابه.

(٢) اختصر فيها كتاب البيهقي الحافل في ذلك، بحذف الأسانيد.

(٣) سمّاه: الإيجاز. وصل فيه إلى أثناء الوضوء.

(٤) في الزهد والتصوّف: قال السخاوي فيه: بديع أيضاً.

- ورؤوس المسائل.
- والأصول والضوابط[1] كتب منه أوراقاً قلائل.
- ومختصر التنبيه، كتب منه ورقة واحدة.
- والمسائل المنثورة، وهي المعروفة بالفتاوى، وصنفها غير مرتبة، فرتّبها تلميذه ابن العطّار وزاد عليها أشياء سمعها منه.

- والأربعين، وشرح ألفاظها.

هذا ما يحضرني من مصنفاته بعد الفحص.

وقد قال في شرح المهذب في رفع اليدين في الركوع: «أرجو أن أجمع فيه كتاباً مستقلاً» فلا أدري أفعل أو لا.

قال الأسنوي: ويُنسب إليه تصنيفان ليسا له: النهاية في اختصار الغاية، والثاني: أغاليط على الوسيط، مشتملة على خمسين موضعاً، بعضها فقهية وبعضها حديثية. وممن نسب إليه هذا: ابن الرفعة في المطلب، فاحذره فإنه لبعض الحمويين، ولهذا لم يذكره ابن العطار حين عدّد تصانيفه واستوعبها. (اهـ). وقوله إن ابن العطار استوعب تصانيفه ممنوع، بل لم يستوعب ولا قارب.

قال ابن العطّار:

أمره ابن العطار بغسل الكثير من مصنفاته

وله شرح ألفاظ ومسوّدات كثيرة. ولقد أمرني مرّة بجمع نحو ألف كرّاس بخطّه، وأمرني أن أقف على غسلها في الورّاقة، وحلّفني إن خالفت أمره في ذلك. فما أمْكنني إلاّ طاعته، وإلى الآن في قلبي منها حَسَرات.

---

(١) أوراق لطيفة تشتمل على بعض القواعد الفقهية، وضوابط لذكر العقود اللازمة والجائزة، وما هو تقريب أو تحديد، أو نحو ذلك.

ذِكْر شيء من مكاتباته

قال ابن العطّار:

كتابه إلى الأمير بدر الدين الخزندار

كَتَبَ ورقة إلى الملك الظّاهر، تتضمّن العدل في الرعيّة وإزالة المُكُوْس[1]. وكتب معه فيها جماعة ووضعها في ورقة كتبها إلى الأمير بَـدْر الدّين بيلبك الخَزِنْدَار[2]، بإيصال ورقة العُلماء إلى السّلطان، وصُوْرتُها:

«بسم الله الرحمن الرحيم. من عبدالله يَحيى النّوويّ، سلام الله تعالى ورحمته وبركاته على المَوْلى المُحسِن، ملك الأمراء بدر الدين، أدام الله الكريم له الخيرات، وتولاّه بالحسنات، وبلّغه من أقصى الآخرة والأولى كُلّ آماله، وبارك له في جميع أحواله، آمين.

ويُنهي أهلُ العلوم الشريفة، أن أهل الشام في هذه السنة في ضيق عيش وضعف حال، بسبب قلّة الأمطار، وغلاء الأسعار، وقلّة الغلاّت والنبات، وهلاك المواشي وغير ذلك. وأنتم تعلمون أنّه تجب الشفقة

---

(١) واحدها (المَكْس): أي الضريبة.

(٢) الأمير الكبير بدر الدين بيلبك بن عبدالله، الخزندار، نائب الديار المصرية للملك الظاهر. كان جواداً نبيلاً عالي الهمة وافر العقل، محبباً إلى الناس، ينطوي على مروءة ومحبة للعلماء والصلحاء والزهاد، له إلمام ومعرفة في العلوم والتواريخ، وكان قد وقف درساً بالجامع الأزهر على الشافعية، ويقال إنه مات مسموماً سنة ٦٧٦، ست وسبعين وستمائة. (البداية والنهاية: ١٣/٢٧٧، شذرات الذهب: ٥/٣٥١).

على الـراعي والرعية، ونصيحته في مصلحتـه ومصلحتهم، فإنّ الـدين النّصيحة، وقد كتب خَدَمَة الشّرع، النّاصحون للسلطان، المحبّون له، كتاباً يذكّره النظر في أحوال الرعيّة والرّفق بهم. وليس فيه ضَررٌ بل هو نصيحة مَحْضَة، وشفقة، وذكرى لأُولي الألْبَاب. والمسؤول من الأمير أيّده الله تعالى تقديمه إلى السلطان، أدام الله له الخيرات، ويتكلّم عنده من الإشارة بالرّفق بالرعيّة بما يجده مدَّخراً له عند الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾[1]. وهذا الكتاب أرسله[2] العلماء أمانةً ونصيحة للسلطان، أعزّ الله أنصاره [والمسلميـن كلهم في الدنيا والآخـرة][3]، فيجب عليكم إيصاله للسلطان، أعزّ الله أنصـاره، وأنتم مسؤولون عن هذه الأمانة، ولا عُذْر لكم في التّأخر عنها. ولا حُجّة لكم في التقصير فيها عند الله تعالى، وتُسألون عنها: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾[4]، ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ، وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ وَصَـٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ، لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾[5]، وأنتم بحمـد الله تحبّـون الخيـر وتحرصون عليـه، وتسارعـون إليه، وهـذا من أهمّ الخيرات، وأفضـل الطاعات، وقد أُهِّلْتُم له، وساقه الله إليكم، وهو فَضْلٌ من الله، ونحن خائفون أن يزداد الأَمرُ شِدّةً إنْ لم يحصل النّظر في الرّفق بهم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَـٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾[6]، وقـال الله تعـالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾[7].

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٣٠.
(٢) في B: يرسله.
(٣) ساقط في: E.
(٤) سورة الشعراء: الآية ٨٨.
(٥) سورة عبس: الآيات ٢٤ ـ ٢٧.
(٦) سورة الأعراف: الآية ٢٠١.
(٧) سورة البقرة: الآية ١١٥.

والجماعة الكاتبون منتظرون ثمرة هـذا، فإذا فعلتُمُـوه، فأجـركم عند الله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾[1] والسـلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

فلمّا وصلت الورقتان إليه[2]، أوقف عليهما السلطان، فردّ جوابهما ردّاً عنيفاً مؤلماً، فتنكّدت خواطر الجماعة الكاتبين، فكتب رضي الله تعالى عنه جواباً لذلك الجواب:

ردّه على جواب الظاهر وفيه كيف تكون عزة العالِم

«بسم الله الرحمن الرحيم. الحمدُ لله ربّ العالمين، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آل محمّد. من عبدالله يَحيى النّوويّ، يُنْهِي أنّ خَدَمة الشرع كانوا كتبوا ما بلغ السلطان ـ أعزّ الله أنصاره ـ فجاء الجواب بالإنكار والتوبيخ والتهديد، وفهِمْنا منه أنّ الجهاد ذُكر في الجواب على خِلاف حكم الشرع، وقد أَوْجب الله إيضاح الأحكام عند الحكام عند الحاجة إليها، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[3]، فوجب علينا حينئذ بيانه، وحَرُم علينا السكوتُ، قال الله تعالى: ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[4].

وذُكر في الجواب أن الجهاد ليس مختصّاً بالأجناد، وهذا أمر لم نَـدَّعِـه، ولكنّ الجهـاد فـرضُ كِفـايـة، فـإذا قـرّر السلطان لـه أجنـاداً

---

(١) سورة النحل: الآية ١٢٨.

(٢) أي إلى الأمير الخزندار.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٨٧.

(٤) سورة التوبة: الآية ٩١.

مخْصُوصين، ولهم أخبار[1] معلومة من بيت المال، كما هو الواقع، تفرُغ باقي الرعية لمصالحهم، ومصالح السلطان والأجناد وغيرهم، من الزراعة والصنائع، وغيرها مِمّا يحتاج الناسْ كلهم إليه[2]، فجهاد الأجناد مُقابَلٌ بالأخبار المُقرّرة لهم، ولا يَحِلُّ أن يُؤخذ من الرعيّة شيء ما دام في بيت المال شيء من نَقْدٍ أو متاع، أو أرض، أو ضِياع تباع، أو غير ذلك، وهؤلاء علماء المسلمين في بلاد السلطان ـ أعز الله أنصاره ـ مُتّفقون على هذا، وبيتُ المال بِحَمْدِ الله تعالى مَعْمور، زادَه الله عِمارة وسَعةً وخيراً وبَرَكةً بحياة السلطان، المقرونة بكمال السعادة له والتَوْفيق والتسْديد والظهور على أعداء الدين، ﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾[3]،وإنّما يُستعان في الجهاد وغيره بالافْتِقار إلى الله تعالى، واتّباع آثار النبي ﷺ، ومُلازمة أحكام الشّرع.

وجميع ما كتبناه أولاً وثانياً، هو النصيحة التي نعتقدها، وندينُ الله بها، ونسألُه الدّوام عليها حتى نلقاه، والسّلطان يعلم أنها نصيحة له وللرعيّة، وليس فيها ما يُلام عليه، ولم نكتبْ هذا للسلطان، إلاّ لِعِلْمنا أنّه يحبّ الشرع، ومتابعةَ أخلاق النبيّ ﷺ، في الرّفق بالرعيّة والشّفقة عليهم، وإكرامه لآثار النبي ﷺ، وكُلُّ ناصحٍ للسلطان موافق على هذا الذي كتبناه.

وأمّا ما ذُكر في الجواب من كوننا لم نُنكر على الكفّار حين كانوا في البلاد، فكيف تُقاس مُلوك الإسلام وأهل الإيمان والقرآن، بطُغاة

---

(١) الأخبار، واحدها (الخُبْرَة): أي النّصيب.

(٢) في B: إليها.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٢٦.

الكُفّار؟! وبأيّ شيء كُنّا نُذكِّر طُغاة الكفار، وهم لا يعتقدون شيئاً من دِيْننا؟.

وأمّا تهديد الرعيّة بسبب نصيحتنا، وتهديد طائفة العلماء، فليس هو المَرْجُوّ من عدل السلطان وحِلْمه، وأيّ حِيلة لضعفاء المسلمين النّاصحين نصيحة للسلطان ولهم، ولا علم لهم به، وكيف يؤاخَذون به لو كان فيه ما يلام عليه؟.

وأمّا أنا في نفسي، فلا يضُرّني التهديد ولا أكثر منه، ولا يمنعني ذلك من نصيحة السلطان، فإني أعتقد أنّ هذا واجبٌ عليّ وعلى غيري، وما ترتّب على الواجب فهو خير وزيادة عند الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴾[1] ﴿ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾[2]، وقد أَمَرَنا رسول الله ﷺ أنّ نقول بالحق حيث كُنّا، وأن لا نخاف في الله لومة لائم.

ونحن نحبُّ للسلطان أكمل الأحوال، وما ينفعه في آخرته ودنياه، ويكون سبباً لدوام الخيرات له، ويُبقي ذكره على ممر الأيام، ويخلُد به في الجنّة ويجد نفعه ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا ﴾[3]. وأمّا ما ذُكر في تمهيد السلطان البلاد، وإدامة الجهاد وفتح الحصون وقهر الأعداء، فهذا بحمد الله من الأمور الشائعة، التي اشترك في العلم بها الخاصة والعامة وطارت في أقطار الأرض، ولله[4] الحمد،

---

(١) سورة غافر: الآية ٣٩.

(٢) سورة غافر: الآية ٤٤.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٣٠.

(٤) في الأصلين: فللّه.

وثواب ذلك مدّخر للسلطان إلى ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا ﴾.

ولا حُجّة لنا عند الله إذا تركنا هذه النصيحة الواجبة علينا، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

كتابه إلى الملك الظاهر لما حنبط على أملاك دمشق

وكتب إلى الملك الظاهر لما احتيط على أملاك دمشق:

«بسم الله الرحمن الرحيم. قال الله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[1]، وقال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[2]. وقال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾[3].

وقد أوجب الله على المكلّفين[4] نصيحة السلطان ـ أعزّ الله أنصاره ـ، ونصيحة عامّة المسلمين. ففي الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الدين النصيحة، لله، وكتابه، وأئمة المسلمين، وعامّتهم»[5]. ومِن نصيحة السلطان وفّقه الله تعالى لطاعته، وتولّاه بكرامته، أن نُنهي إليه الأحكام إذا جرت على خلاف قواعد الإسلام. وأوْجب الله تعالى الشفقة على الرعيّة، والاهتمام بالضَعَفَة، وإزالة الضّرر عنهم. قال الله تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[6]. وفي الحديث

(١) سورة الذاريات: الآية ٥٥.
(٢) سورة آل عمران: الآية ١٨٧.
(٣) سورة المائدة: الآية ٢.
(٤) في B: المكلّف.
(٥) الحديث: رواه مسلم، عن أبي رُقيّة تميم بن أوْس الدّاري.
(٦) سورة الحجر: الآية ٨٨.

الصحيح، قال رسول الله ﷺ: «إنما تنصرون وترزقون بضعفائكم»[1]، وقال ﷺ: «من كشف عن مسلم كُربةً من كُرَب الدّنيا، كشف الله عنه كُربة من كُرب يوم القيامة، والله في عَوْن العَبْد ما كان العبدُ في عون أخيه»[2]، وقال ﷺ: «اللهم من وَلي من أمر أمتي شيئاً فَرَفَقَ بهم فارْفُقْ به، ومن شَقّ عليهم فاشقُقْ عليه»[3]، وقال ﷺ: «كُلّكم راعٍ وكُلّكم مسؤول عن رعيّته»[4]، وقال ﷺ: «إن المُقْسِطين على منابر من نور عن يمين الرحمن، الذين يَعْدِلون في حكمهم وأهليهم وما وُلّوا»[5].

وقد أنعم الله تعالى علينا وعلى سائر المسلمين، بالسلطان ـ أعزّ الله أنصاره ـ، فقد أقامه لنُصرة الدين، والذّب عن المسلمين[6]، وأَذلّ له الأعداء من جميع الطوائف، وفتح عليه الفتوحات المشهودة، في المدّة اليسيرة، وأَوْقع الرّعب في قلوب أعداء الدين، وسائر الماردين[7]، ومهّد

(١) الحديث: عن مصعب بن سعد قال: رأى سعد رضي الله عنه أنّ له فضلاً على من دونه، فقال النبيّ ﷺ: «هل تُنصرون وتُرزقون إلّا بضعفائكم». رواه البخاري (كتاب الجهاد والسِّير، باب من استعان بالضعفاء والصالحين في الحرب).

(٢) الحديث: عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيّ ﷺ، قال: «من نفّس عن مؤمن كُربةً من كُرب الدنيا نفّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسّر على مُعْسر يسّر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه. . .». رواه مسلم.

(٣) الحديث: عن عائشة رضي الله عنها، عن النبيّ ﷺ، قال: «اللهم من ولي من أمر أُمّتي شيئاً فشقّ عليهم فاشْقق عليه، ومن ولي من أمر أُمّتي شيئاً فرفق بهم فارفق بهم». رواه مسلم.

(٤) الحديث: عن ابن عمر، (متّفق عليه).

(٥) الحديث: عن عبدالله بن عمرو بن العاص، رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن المقسطين عند الله على منابر من نور: الذين يعدِلون في حُكمهم وأهليهم وما وُلُوا». رواه مسلم.

(٦) أي: الدفاع عنهم.

(٧) الماردين: الطغاة.

له البلاد والعباد، وقَمَع بسيفه أهل الزَّيْغ والفساد، وأمدّه بالإعانة واللطف والسعادة، فله الحمد على هذه النِّعم الظاهرة، والخيرات المتكاثرة، ونسأل الله الكريم دوامها له وللمسلمين وزيادتها في خير وعافية[1]، آمين.

وقد أوجب الله شكر نعمه ووعد الزيادة للشاكرين، فقال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[2]، وقد لَحِق المسلمين بسبب هذه الحَوْطة على أملاكهم، أنواع من الضّرر، لا يمكن التعبير عنها، وطُلب منهم إثباتاً لا يلزمُهم، فهذه الحوطة لا تحِلّ عند أحدٍ من علماء المسلمين، بَلْ من في يده شيء فهو مُلْكه، لا يَحلُّ الاعتراض عليه، ولا يُكلّف بإثباته. وقد اشتهر من سيرة السّلطان، أنه يحب العمل بالشرع، ويُوصي نُوّابه به، فهو أَوْلَى مَنْ عمل به، والمسؤول إطلاق الناس من هذه الحوطة، والإفراج عن جميعهم، فأطْلِقْهم أطْلَقَك الله من كل مكروه، فَهُمْ ضَعَفَة، وفيهم الأيتام والأرامل والمساكين والضَعَفَة والصالحون، وبهم تُنصر وتُغاث وتُرزق، وهم سُكّان الشام المبارك، جيران الأنبياء، صلوات الله وسلامه عليهم، وسكان ديارهم، فلهم حُرمات من جهات، ولو رأى السلطان ما يلحق الناس من الشدائد، لاشتدّ حزنه عليهم، وأطلقهم [ ][3] في الحال، ولم يُؤخِّرْهم، ولكنْ لا تُنهى إليه الأمور على وجهها[4].

---

(١) في B: وسلامة.

(٢) سورة إبراهيم: الآية ٧.

(٣) [منه]؛ في: B.

(٤) في B: جهتها.

فبالله! أغِث المسلمين، يُغِثْك الله، وارفق بهم يرفق الله بك، وعجِّل لهم الإفراج، قبل وقوع الأمطار وتَلَف غلاَّتهم، فإنّ أكثرهم ورثوا هذه الأملاك من أسلافهم، ولا يمكنهم تحصيل كتب شراء، وقد نُهبت كتبهم.

وإذا رفق السلطان بهم حَصَلَ له دعاء رسول الله ﷺ لمن رفق بأمته، ونصره [الله][1] على أعدائه، فقد قال الله تعالى: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾[2]، وَتَتَوَفّر له من رعيّته الدعوات وتظْهَر في مملكته البركات، ويُبارك له في جميع ما يقصده من الخيرات. وفي الحديث عن رسول الله ﷺ: «من سَنّ سُنّةً حسنة فَلَهُ أَجْرُها وأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بها إلى يوم القيامة، ومَنْ سَنَّ سُنة سيّئة فعليه وِزْرُها وَوِزْر من عمل بها إلى يوم القيامة»[3]. فنسأل الله الكريم أن يُوفِّق السلطان للسُّنن الحسنة التي يُذكر بها إلى يوم القيامة، ويحميه من السنن السيئة. فهذه نصيحتنا الواجبةُ علينا للسلطان ونرجو من فضل الله تعالى أن يُلْهِمَه فيها القَبول، والسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

كتابه إليه بسبب التضييق على الفقهاء

وكَتَب إليه، لما رُسم[4] بأنّ الفقيه لا يكون منزلاً في أكثر من مدرسة واحدة:

---

(١) ساقطة في الأصلين: والسياق يستدعي إثباتها.

(٢) سورة محمّد: الآية ٧.

(٣) الحديث: عن أبي عمرو جرير بن عبدالله رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «من سَنّ في الإسلام سنّة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سَنّ في الإسلام سنّة سيّئة كان عليه وِزرُها وَوِزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء». (رواه مسلم).

(٤) رُسم: كُتب، والمرسوم: ما يصدره رئيس الدولة كِتابةً في شأن من الشئون، فتكون له قوّة القانون.

«بسم الله الرحمن الرحيم. خَدَمة الشرع يُنهون أنّ الله تعالى أَمَرنا بالتّعاون على البِّرِّ والتقوى ونصيحة وُلاة الأمور وعامّة المسلمين، وأَخذ على العلماء العَهد بِتَبْليغ أحكام الدين، ومُناصحة المسلمين، وحثّ على تعظيم حُرُماته وإعظام شبعائر الدين، وإكرام العُلماء واتباعهم.

وقد بلغ الفقهاء، أنّه رُسم في حقّهم بأن يُغيَّروا عن وظائفهم، ويقطعوا عن بعض مدارسهم، فتنكّدت بذلك أحوالُهم، وتضرّروا بهذا التضييق عليهم، وهم محتاجون ولهم عيال، وفيهم[1] الصالحون والمشتغلون بالعلوم، وإنْ كان منهم أفراد لا يلتحقون بمراتب غيرهم، فهم منتسبون إلى العِلم، ومشاركون فيه، ولا تخفى مراتب أهل العلم وفضلهم، وثناء الله تعالى عليهم وبيان مرتبتهم[2] على غيرهم، وأنهم ورثة الأنبياء، صلوات الله وسلامه عليهم، وأنّ[3] الملائكة عليهم السلام تضع أجنحتها لهم، ويستغفر لهم كل شيء حتى الحِيْتان[4].

واللائقُ بالجَناب العالي إكرام هذه الطائفة، والإحسان إليهم، ومعاضَدَتُهم، ودفع المكروهات عنهم، والنظر في أحوالهم، بما فيه من الرفق بهم، فقد ثَبَت في صحيح مسلم، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فارفق به»، ورَوى أبو عيسى التّرمذي بإسناده عن أبي سعيد الخدري، رضي الله تعالى عنه، أنّه كان يقول لطلبة العلم: مرحباً بوصيّة رسول الله ﷺ، إن رسول الله ﷺ قال: «إن رجالاً يأتونكم يَتَفَقَّهون في الدين، فإذا أَتَوْكُمْ فاسْتَوْصُوا بهم

(١) في E: منهم.
(٢) في B: رتبهم.
(٣) في B: فإن.
(٤) في B: الحوت في الماء.

خيراً»[1]. والمسؤول أنّه لا يغير على هذه الطائفة شيء، وتُستجاب دعوتهم لهذه الدولة القاهرة، وقد ثَبت في صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ قال: «هل تُنصرون وتُرزقون إلّا بضُعفائكم». وقد أحاطت[2] العلوم بما أجاب به الوزير نِظام المُلْك[3]، حين أَنكر عليه السلطان صَرْف الأموال الكثيرة في جهة طلب العلم، فقال: «أقمت لك بها جنداً لا تُرَدُّ سِهامُهم». فاسْتَصْوَب فِعلَه، وساعَدَه عليه.

واللَّهُ الكريمُ يُوِّفق الجَناب دائماً لمرضاتِه، والمسارعة إلى طاعته، والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلّم».

---

(١) الحديث: عن أبي هارون العبدي، قال: كنا نأتي أبا سعيد، فيقول: مرحباً بوصيّة رسول الله ﷺ، إن رسول الله ﷺ قال: «إنّ الناس لكم تبع، وإن رجالاً يأتونكم من أقطار الأرض، يتفقهون في الدين، فإذا أَتَوْكم فاستوصوا بهم خيراً». (جامع الترمذي، من أبواب العلم: باب ما جاء في الاستيصاء بمن يطلب العلم).

(٢) في E: أحيطت.

(٣) نِظام المُلْك: أبو علي، الحسن بن علي بن إسحق الطّوسي، قوام الدين. من جلّة وزراء الدولة السلجوقية، كان مجلسه عامراً بالعلماء، أنشأ المدارس في الأمصار، اشتغل بالعلم وأمْلى وحدّث. توفي سنة ٤٨٥، خمس وثمانين وأربعمائة. (شذرات الذهب: ٣/٣٧٣).

ذِكْرُ وفاته رحمه الله تعالى

قال ابن العطّار:

ظهور أمارات تدل على قرب وفاته

كان الشيخ لا يأخذ من أحد شيئاً، إلّا مِمّن تحقّق دينه ومعرفته، ولا له به عُلْقة[1] من إقراء أو انتفاع به.

قال: وكنت جالساً بين يديه قبل انتقاله بشهرين، وإذا بفقير قد دخل عليه وقال:

«الشيخ فُلان من بلاد صَرْخَد[2] يُسلِّم عليك وأَرسلَ معي هذا الإبريق لك». فَقَبِلَه وأَمَرني بوضعهِ في بيت حوائجه، فتعجّبتُ منهُ لِقَبولهِ، فشعر بتعجّبي، وقال:

«أَرسلَ إليّ بعض الفقراء زِنْبيلاً[3]، وهذا إبريق، فهذه آلة السَّفر».

---

(١) عُلْقة: تعلُّق وارتباط.
(٢) صَرْخَد: بلد ملاصق لبلاد حوران من أعمال دمشق.
(٣) الزِّنبيل: الجراب أو القِفّة (وعاء يحمل فيه الطعام).

قال الذهبي[1]: وعَزَم عليه شخص[2] في رمضان ليُفطر عنده، فقال: «أَحْضِرْ طعامَك هنا نُفطِر جُملةً»[3].

قال ابن العطار:

ثم بعد أيام يسيرة كنتُ عنده، فقال: «قد أُذِن لي في السَّفر».

فقلت: كيف أُذن لك؟.

قال: «[بينا][4] أنا جالس هاهنا، ـ يعني ببيته بالمدرسة الرَّواحيّة، وقُدّامه طاقة مشرفة عليها ـ مستقبل القِبلة، إذ مرّ عليّ شخص في الهواء من هنا، [ومرّ][5]، كذا» ـ يُشير من غربيّ المدرسة إلى شرقيِّها ـ، وقال: قُمْ سافِرْ لزيارة بيت المَقْدِس.

ثم قال[6]: «قُمْ حتى نُودِّع أصحابنا وأحبابنا».

فخرجتُ معه إلى القبور التي دُفن فيها بعض شيوخه، فزارهم، وبكى، ثم زار أصحابه الأحياء، ثم سافر صبيحة ذلك اليوم.

زيارته القدس والخليل

وقال[7]: وجرى لي معه وقائع، ورأيت منه أموراً تحتمل مجلّدات. فسار إلى نَوى، وزار القدس والخليل عليه السلام، ثم عاد إلى نَوى، [ومرض بها][8] في بيت والده، فبَلَغَني مرضُهُ، فقدِمْتُ[9] من

مرضه

---

(١) تذكرة الحفاظ: ٤/١٤٧٣.

(٢) هو الشيخ برهان الدين الإسكندراني، كما في «التذكرة».

(٣) أي جماعة.

(٤) ساقطة في الأصلين، والأصوب إثباتها، كما في السخاوي.

(٥) في الأصلين.

(٦) أي النّوويّ.

(٧) ابن العطّار.

(٨) في E: فمرض فيها.

(٩) في B: فذهبت.

دمشق لِعيادته، ففرِح بي، وقال: «ارجع إلى أهلك». وودّعته وقد أشرف على العافية، يوم السبت العشرين من رجب سنة ست وسبعين وستمائة، وتُوفّي ليلة الأربعاء الرابع والعشرين من رجب، ودُفن صبيحتها بنَوى. وفاته

قال[1]: فبيْنا أنا نائم تلك الليلة، إذا منادٍ ينادي بجامع دمشق:

«الصلاة على الشيخ ركن الدين الموقع».

فصاح الناس لذلك [ ][2]، فاستيقظتُ، فبَلَغَنا ليلة الجمعة موتُه، وصُلّي عليه بجامع دمشق، وتأسّف المسلمون عليه تأسُّفَاً بليغاً، الخاصّ والعام، المادح والذّام. وقع نبأ وفاته في دمشق

ورأيت في تاريخ الذهبي[3]، أنّ بعض الصالحين قتل الشيخ بالحال[4] لأمْرٍ ثم ندم على ذلك، وأنه قال لوالده:

أتُحِبُّ أن يموت عندكم أَمْ في دمشق؟.

فقال: عندنا[5].

---

(١) ابن العطّار.

(٢) [النداء]، (ساقطة من الأصلين، ومُثبتة في السخاوي).

(٣) انظر السخاوي: ٤ ـ ٥.

(٤) الحال: الطين الأسود والحمْأة، أو الرماد الحار.

(٥) الشيخ الصالح هو الشيخ ياسين المراكشي السالف ذكره.
وأمّا ما أورده الذهبي في تاريخه، فهو مخالف لكلام ابن العطّار الذي أشار إلى الشيخ ياسين هذا عند ذكر نشأة الإمام النووي (انظر ص ١٦ من الكتاب). ويعلّق السخاوي على ما ذكره الذهبي، فيقول (ص ٥): وأمّا قوله: ويقال إنه قتله بالحال، فمنكر، وقد استبعده التقي ابن قاضي شهبة حيث قال: «وهذا بعيد جداً أن يقع أن مثل النووي يقع منه ما يوجب أن وليّ الله يتغيّر عليه حتى يصل إلى قتله، وبعيد من الولي أيضاً قتل مثل النووي، قال: وإنما هذه نزعة شيطانية نعوذ بالله من ذلك». اهـ.

قلت: فهو رضي الله عنه شهيد، جَمَعَ بين مرتبتي العِلم والشّهادة، نفعنا الله به.

قال ابن العطار:

وذَكَرَ لي جماعة من أقاربه، أنهم سألوه أن لا ينساهم في عرصات[1] القيامة، فقال لهم[2]:

«إنْ كان ثَمَّ جاه، والله لأدْخُلَنَّ الجنة وآخذُ مَنْ أعرفه ورائي، ولا أدخلها إلا بعدهم».

رؤية بعض أهله له في المنام

ولمّا دُفن، أراد أهلُه أن يبْنُوا عليه قُبّة، فجاء في النوم إلى عَمّته، وقال لها:

«قولي لأخي وللجماعة لا يفعلوا هذا الذي عزموا عليه من البنيان، لأنهم كلما بنوا شيئاً ينهدم»[3].

فامتنعوا، وحوّطوا على قبره بالحجارة.

وقال ابن فضل الله: حكى لنا أخوه، الشيخ عبدالرحمن، أنّه لمّا مرِض مرَض موته، اشتهى التّفاح، فجيء به فلم يأكلْه، فلمّا مات رآه بعضُ أهله، فقال: ما فَعَلَ اللّهُ بك؟

فقال: «أكْرَمَ نُزُلي، وتقبَّلَ عملي، وأوّل قراي[4] جاءني: التفاح».

---

(١) العرصات: الساحات.
(٢) ساقطة: في B.
(٣) في B: ينهدّ.
(٤) القِرى: ما يُقدّم للضيف.

وأخبرني بعضُ الطّلبة، أنّ شخصاً جاء إلى قبره وجعل يقول: أنت الذي تخالف الرافعي وتقول قلت، ويُشير إليه بيده، فما قام حتى لدَغَتْه فيها عقرب.

ورأيت في إنباء الغُمر، لشيخ الإسلام ابن حجر ـ رحمه الله ـ في ترجمة الجمال الرَّيمي، شارح التنبيه، أنه كان كثير [الحطّ على الشيخ][1] محيي الدّين، فلمّا مات جاءت هِرّة وهو على المُغْتَسَل، فانْتَزَعت لسانَهُ. قال: فكان ذلك عِبْرَة للناس[2].

---

(١) في B: الإزدراء بالشيخ.

(٢) هو محمد بن عبدالله بن أبي بكر، جمال الدين الرَّيمي. والرواية كما ذكرها ابن حجر، كالآتي: «قال لي الجمال المصري: كان الريمي كثير الازدراء بالنووي، فرأيت لسانه في مرض موته وقد اندلع واسْودّ، فجاءت هرّة فخطفته، فكان ذلك آية للناظرين». (إنباء الغمر: ٣/٤٨).

ذكرُ شيء مِمّا رُثِيَ به

قصيدة لشيخ الأدب أبوعبدالله الإربلي

قال الشيخ العلاّمة، شيخ الأدب، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عمر بن أبي شاكر الحنفي الإربلي(١):

[من البسيط]

عـزّ العـزاء وعَمّ الحــادثُ الجَلَلُ ... وخابَ بالموت في تَعْميرِك الأجلُ(٢)
واستَوْحشَتْ بعدما كُنْتَ الأَنِيْسَ بها ... وساءَها فَقْدُك الأسحارُ والأُصُلُ(٣)
قَـدْ كُنْتَ للدّين نـوراً يُستضـاءُ بـه ... مسـدَّداً منـك فيـه القـولُ والعمـلُ
وكنتَ تَـتْلُـو كـتـابَ الله مُعـتبِـراً ... لا يعتـريـك على تكـراره مَـلَلُ
وكُنتَ في سُنّـة المُختـار مُجتهِـداً ... وأنت بـاليُمن والتـوفيق مُشتَمِـلُ
وكُنتَ زَيْنـاً لأهـل العِلم مُفتخِـراً ... على جَديدٍ كساهُم ثوبُك السَّمَلُ(٤)

---

(١) القصيدة في تاريخ ابن الفرات: ٧/١١٠، وفوات الوفيات: ٤/٥٧٧ (الأبيات التي بين حاصرتين، لم ترِدْ في الأصلين، وقد أثبتناها لورودها في جميع المصادر التي رأيناها مُتضمِّنة القصيدة، ومُيّزت بالخط المائل). وللإربلي ديوان مشهور وشِعر رائق. فمن شعره قوله:

قـلبي وطـرْفـي ذا يـسيــل دمــاً وذا ... بين الـوَرى أنـت العـليم بـقـرحــهِ
وهُمــا بحـبّــك شـاهــدان وإنّمــا ... تعــديل كـلٍ منهمــا في جُـرحــهِ
والقلبُ منـزِلُـك القـديمُ فـإنْ تجِـدْ ... فـيــه سِـواكَ مِـنَ الأنـام فـنـحِّـهِ

(٢) الجلَلُ: العظيم □ خاب: انقطع أمله.

(٣) الأُصُل: واحدها: الأصيل، وهو الوقت بين المغرب والعشيّ.

(٤) الثوب السمل: البالي.

وكنتَ أسْبَغهَمُ ظِـلاً إذا استَعَرَتْ ... هواجرُ الجَّهلِ والأطلال ينتقـلُ[1]
كسـاكَ ربُّـكَ أوْصـافـاً مُجمَّلةً ... يَضيقُ عن حَصْرِها التفصيلُ والجمَلُ
أسْلَى كمالُك عن قومٍ مَضَوْا بدَلاً ... وعن كمـالك لا مُسْلٍ ولا بدلُ[2]
فمثـلُ فقْدِك تـرتـاعُ العقـولُ لـه ... وفَقْـدُ مِثلك جُـرحٌ ليس يَنْـدمِـلُ
زهِدتَ في باطل الدُّنيـا وزُخْرُفِهـا ... عزْماً وحزْماً فمضْـروبٌ بك المَثَـلُ
أَعْرضتَ عنها احتقاراً غير مُحتفِلٍ ... وأنْتَ بـالسّعي في أُخْراك مُحتفِـلُ
عـزفْتَ عن شهواتٍ مـا لِعَزْم فتىً ... بهـا سِـواكَ إذا عَنّتَ لَـهُ قِبَـلُ[3]
أسْهَرتَ في العِلم عَيْناً لم تَذُقْ سِنَةً ... إلاّ وأنتَ به في الحُكْمِ مُشتَغِلُ[4]
[يا لَهْف حفلٍ عـظيم كُنتَ بهجتَهُ ... وحـلة فعـراه بـعـدك العَـطَلُ[5]
وطـالِبـو العِلم من دانٍ ومُغتـربٍ ... نـالُوا بيُمْنك منهُ فـوق مـا أمِلوا
حـاروا لِغيْبـة هـاديْهِم وضـاق بهم ... لفَـرْط حُزْنٍ عليـه السهلُ والجبـلُ
تُـرى دَرَى تُربُـه من غيّبـوه بـه ... أو نعشُـه مَنْ على أعـواده حَمَلوا؟
عـنـاه شُغـلهم دهـراً وعـاذلـهم ... بِلاعج الوجْدِ عن أشغالهمشغلُ][6]
يا مُحِييَ الدِّين كم غادرت من كبدٍ ... حَـرَّى عليـك وعَيْنٍ دمعُهـا هـطِلُ
وكم مُقـام كحَـدّ السّيف لا جَلدٌ ... يقـوى على هَـوْلـه فيـه ولا جـدلُ
أمـرْتَ فيـه بـأمْـر اللّهِ مُنْتضِيـاً ... سيفاً من العزم لم يُصنع له خَلَلُ[7]

---

(١) السابغ: الطويل، التام □ الهواجر؛ واحدها: الهاجرة، وهي شدّة الحرّ.
(٢) أسلْى عن كذا = جعل يسلو: كشف الهم أو نحوه. ومنه: السُّلْوان، وهـو النسيان وطِيب النفس بعد فراق الأحبّة.
(٣) عنّت: عرضت □ ما له بها قِبَل: ما له بها طاقة.
(٤) السِّنة: النعاس، وهو مبدأ النوم.
(٥) العطل، (مِن عطِل)، أي: خلا.
(٦) اللاعجَ: الهوى المحرق.
(٧) منتضياً، (انتضى السيف): أخرجه من غمده.

وكم تواضَعْتَ عن فَضْلٍ وعن شَرَفٍ ... وهِمّـةٍ هـامـةَ الجـوزاء تَنْتَعِـلُ[1]
[عالجْتَ نفسَـك والأَدْواءُ شـاملةٌ ... حتى استقـامَتْ وحتّى زالت العِلَلُ
بلَغتَ بـالتَّعَب الفاني رِضى ملِكٍ ... ثَـوابُـه في جِنـان الخُلْد متّصِـلُ
ضيفُ الكريم جديرٌ أن يُضاف لـه ... إلى الكـرامـةِ من ألْـطافِـهِ نـزلُ
بَـرَزْت أهْليك في داريْـك مُحتِسباً ... فقد تكافأ فيك الحُزن والجَذَلُ[2]]
فُجعت بـالأمس ليلاً كنت سـاهِره ... لله والنوم قد خِيْطت به المُقَـلُ[3]
رَجـاكَ نـورُ نهـارٍ كُنتَ صـائِمَـهُ ... إذا الهجيـرُ بنـارِ الشّمسِ تشتعـلُ
[لا زال مَثْـواكَ مثْـوىَ كـل عـارفـة ... وروضةالنَّضرِمن سُحُبِ الرِّضاخضِلُ[4]
إلـى مـتـى بـغـرورٍ نـطمئـنُّ ولا ... الملوكَ رُدَّ الردى عنهم ولا الرُّسُلُ
ولا حِمىً من حِمـامٍ جَحْفلٍ لَجِب ... ولا حصـونٌ مَنيعـاتٌ ولا قُلَلُ][5]
يـا لاهياً لاهيـاً عن هولِ مصـرعِهِ ... وضاحكَ السِّنِّ منه يضحك الأجلُ
لا تُخْـل نفسك من زادٍ فـإنك مِنْ ... حِين الوِلادِ مع الأنفـاسِ مُرتحِـلُ
ومـا مقـام يـديم السيـرَ يتبعُـهُ ... إلى محـلٍ تـلاهُ سـائقٌ عجِـلُ

أبيات أخرى له

وقال أيضاً: [من الكامل]

نبـأٌ أصمَّ بـه وأَصْـمى الـنّـاعي ... فجَنَى على الأبْصـارِ والأسْماعِ[6]

---

(١) الهِمّة: العزم القوي □ الهامة: الرأس □ انتعل الشيء: وطِئَه.
(٢) محتسباً: صابراً ومدّخراً الأجر على صبره □ تكافأ (الشيئان): تمـاثلا واستـوَيا، □ الجَذَل: الفرح.
(٣) في E: بالأنس.
(٤) العارفة: الإحسان □ النّضر، (نبات نضير): جميل ذو رونق وبهجة □ خطل: نديّ.
(٥) الحِمام: قضاء الموت وقدره □ الجحفل: الجيش الكثير فيه الخيل، ولجِب: أي مضطرب □ قلل، واحدها (قُلّة): أي قمّة.
(٦) نبأ أصمّ فلاناً: صيّره أصمّ (لجلالته وعظمته) □ أصمى: أصاب، (أصمى الصيد): أصابه فوقع بين يديه.

غَدَتِ النُّفوسُ بـه شُعاعـاً إذ بَدَتْ شمسُ الضُحى حُـزناً بغير شُعاعِ
أَوْدَى بهـا خـوفُ التّفـرّقِ قبـله مـا أشْبَـه الأَوْجـالَ بـالأَوْجـاعِ
حَـلَّ المصـابُ بِـرَبِّ كُـلِّ فضيلةٍ وبـأيِّ كُـل ثـنـيّـة طَـلّاعِ[1]
هـادٍ إلى السَّنَنِ القـويم وسُنّـةِ الـ ـهادي جميـلُ منـاقب ومتـاعِ[2]
«يَحيَ» الذي أحيا الفضائلَ سعيُه وسَعى بـبـارِق ذِهنـه اللّمـاعِ
القـانِتُ القوّامُ والصوّامُ والسّاعي بـخـطوٍ فـي الـعـلوم وسّـاعِ
مـا زال أَوْحـدَ دهـرِه في عصـرِه وإلى سبيـلِ الحـقِّ أفضـل داعِ
خَبَـرٌ جليـلٌ جَـلّ في تـأبينـه عن رثْيِـهِ الأشعـار والأسجـاعِ[3]

وقـال قاضي القُضـاة، نجم الدّين أحمـد بن محمد بن سـالم بن الحسن بن صصرى[4]: [من الطويل]

شعر لقاضي القضاة ابن صصرى

---

(١) الثنية: الطريق في الجبل، ويقال: (فلان طلاع الثنايا): جَلِدٌ يتحمل المشاق أو ساعٍ لمعالي الأمور.

(٢) السَّنن: النهج والطريق.

(٣) الأسجاع، واحدها (السجع): وهو الكلام المُقفّى غير الموزون.

(٤) الشيخ الإمام العالم، قاضي القضاة، أحمد بن محمد بن سالم بن صَصرى، نجم الدين، أبو العباس، الربعي التغلبي، الدمشقي، الشافعي. دخل ديوان الإنشاء ونظم ونثر وشارك في فنون. تولى قضاء العساكر، ثم قضاء الشام، ثم أضيف إليه مشيخة الشيوخ. كان حسن الأخلاق، كثير التودد، كريم المجالسة، متواضعاً، وكان ينطوي على دين وتعبّد، وكان له أموال وخدم وهو من بيت حشمة. ومما ينسب إليه من الشعر:

ومُـذ خفيت عني بـدور جمـالـهم غـدا سقمي في حبهم وهـو ظـاهـرُ
وقـد بت مـالي في الغـرام مسامـر سوى ذكرهم يـا حبذاك المسـامـرُ
وإني على قــرب الـديـار وبُعـدهـا مـقيـم على عـهـد الأحبـة صـابـرُ
ومـا لي أنصـار سـوى فيض أدمعي إذا بـات من أهـواه وهـو مهـاجـرُ
أأحبـابنـا غبتم فغـابـت مسرّتي وغـيـر هـواكـم تَـسِـرُّ الـسـرائـرُ

توفي سنة ٧٢٣ ثلاث وعشرين وسبعمائة. (البداية والنهاية: ١٤/١٠٦، الدرر الكامنة: ١/٢٨٠، فوات الوفيات: ١/١٢٥).

أَعَيْنَيَّ جُودا بالدُّموع الهواطلِ ... وجُودا بها كالساريات الهواطلِ[1]
على الشيخ مُحيي الدّين ذي الفَضْلِ والتُقى ... ورَبِّ الهُدى والزُّهدِ حاوي الفضائلِ
على قانت بَرٍّ طَهورٍ مُوفَّقٍ ... غَلِيْلِي ولا مُطْفٍ أُوار مفاصلي
لقد كان فرداً في الزمان مُكمَّلاً ... عديمَ نظيرٍ أو شَبيهَ مُساجِلِ[2]
لقد كان عن دِيْن الإله مُناضِلاً ... فأَكْرِمْ به من دَيِّنٍ ومُناضِلِ
لقد كان في الدُّنْيا الدّنيّة زاهداً ... فلم يله منه قط يوماً بطائلِ
لقد كان في الأُخرى العَلِيّة جاهِداً ... فنَوْلُه منها رُبَّ أشْرف نائلِ
لقد كان بالمعروف للنّاس آمِراً ... وناهيهم عن مُنْكَرات وباطلِ
فكم قام في الإسلام حَقَّ قيامه ... ما عاقه من قصْدِه عذلُ عاذلِ
وكَمْ لذوي الجاهات واجه معلناً ... بإنكاره عِنْد الضُحى والأَصائِلِ
وكم بالهُدى والحَقّ شَافَه مُنكِراً ... إذا لم يكن أَصْغَى لأقْوالِ قائلِ
فإنْ هُو عن رُؤياه أَصْبح عاجزاً ... يُبلّغه إنكارَه بالرّسائِلِ

شعر لابن المظفر الكندي

وقال الشيخ أبو الحسن علي بن المظفر بن إبراهيم الكِندي[3]:

---

(١) السّاريات: السُّحُب التي تجيء ليلاً.

(٢) مساجل: مبارٍ.

(٣) الشيخ الإمام المقرىء المحدّث، النحوي الأديب، علاء الدين علي بن المظفر بن إبراهيم بن عمر الإسكندراني ثم الدمشقي، المعروف بالوداعي. حصل علوماً جيدة، ونظم الشعر الحسن الرائق، وجمع كتاباً في نحو خمسين مجلداً فيه علوم جمّة أكثرها أدبيات، سمّاها: التذكرة الكندية. وُليّ مشيخة دار الحديث النفيسيّة في مدّة عشر سنين.
ومن شعره قوله:
السزهر في الأكمام راح مقطّباً ... والريح قد خطرت عليه بذيلها
وغدت تبشّره بإقبال الحيا ... حتى تبسّم ضاحكاً من قولها
توفي سنة ٧١٠ عشرة وسبعمائة. (فوات الوفيات: ٣/٩٨، البداية والنهاية: ١٤/٧٨، شذرات الذهب: ٦/٣٩).

[من الكامل]

لَـهفـي عليـه سيّـداً وحَصُـورا ... سَنَـداً لأعـلامِ الهُـدى وظَهيـرا[1]

ومُجـاهـداً ومُهـاجـراً في الله لا ... يخْشـى مليكـاً قـاهـراً وأميـرا

ومُشيّـداً رُكن الشّريعـة نـاصحـاً ... بـالبـاقيـات الصـالحـات مُشيـرا

مـا أن يبـالي راح مَـعْـذولاً إذا ... نَصَـحَ الـوَرَى لِلّه أو مَعْـذورا[2]

عَفّ عن الـدُّنيـا وكَمْ عُـرِضَت لـه ... جـلا فـأوْلاهـا قَـلىً ونُفـورا[3]

لم يصبح الودق المُـزخرَفُ رائقـاً ... يـومـاً لـديـه ولا النَّضَـار نَضيـرا[4]

هجَـر الكَـرى والـطّيّبـات تَـورُّعـاً ... إذ قـام دَيْجـوراً وصـام هَجيـرا

أحْيَـا شـريعـةَ أحمـدٍ وأقـامهـا ... فـأفـادَنـا نَشْـراً لهـا ونُشُـورا[5]

يُفْتي فَيُفِتـنُ كُـلَّ حَبْـرٍ عِـلْمُـه ... مـع أنّه يهـدي الهُـدى والنّـورا[6]

مـا مات «يحيى» إنّمـا جَبَـلٌ هَـوَى ... فأخاف <ذلـك بديـلاً وتبيرا>

إنّ المـدارس وِحشـةٌ لـفـراقـه ... أَضْحت دوارسَ لا تَبِيْن دَثُـورا[7]

وكذا المساجـدُ بالمصـابيح انْثَنَتْ ... تُبْـدي عليـه حُـرْقـةً وزَفيـرا[8]

تلك الـزّوايا والثِّيـاب الخُشْن قـد ... عـادت عليـه جُنّـةً وحَـريـرا[9]

آهـاً عـلى الأوّاه والأوّاب مِـنْ ... صِـدْق المَقال لِنَفْسـه وهَجيـرا[10]

---

(١) الحصور: الممتنع عن الانغماس في الشهوات.

(٢) المعذول: الملوم، والمعذور: المرفوع عنه اللوم.

(٣) عَفّ: كفّ □ جلا: زال □ القلى: البغض والهجر.

(٤) الوَدْق: الموضع فيه عشب وبقل □ المزخرف، الزُخْرُف (هنا): ألوان النبات.

(٥) النشور: (مبالغة في النشر).

(٦) الحَبْر: العالِم.

(٧) دوراس، درست: امّحت وزال أثرها، أو تغيّر حالها □ دَثورا: مُتدثِّره، أي مغطاة بالدِّثار، وهو اللباس أو الغطاء.

(٨) انثنت: مالت وانعطفت.

(٩) الجُنّة: السُّترة وكل ما يَقي الجسم.

(١٠) الأوّاه: الكثير الدعاء، والأوّاب: التائب، الراجع عن ذنبه.

والطّاهر الأَعْـرَاضِ والأَغْراضِ لا   يُبْـدي رِيـاءً لـلأنـام وَزُورا[1]
ودربُـه عِـنْـد الحـوادِث تَـتَّقـي   عند الملوك بها الـوَرَى المحذورا
ضمّت نَـوى الجولانِ من أخـلاقه   نـوراً، إذا ظنَّ السَّحـاب غـديـرا
وتقـدّست بقُـدومـه من قُـدسـه   فيهـا فبُـورِكَ طـاهـراً وطَهـورا

شعر لابن فضل الله

وقال أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن مصعب: قال ابن فضل الله ـ وكان قرأ عليه قطعةً من الرّوضة ـ:

[من الطويل]

أأكْتُم حُـزني والمـدامـع تُبْـدِيـهِ   لِفَقْـد امْـرىء كُـلُّ البَـرِيَّـةِ تَبْكيـهِ
رأى النّاس منه زهد «يَحيى» سَمِيَّه   وتقـواه فيما كـان يُبْدي ويُخفيـهِ[2]
ولم يَـرْضَ بالـدُّنيا ولا مـال لحظةً   إلى عَيْشها فالله لا شـكّ يُـرضيـهِ
تحلّى بـأوصـاف النبي وصَحْبـه   وأتْبـاعـه هَـدْياً فمن ذا يُـدانيـهِ
حـديثُ رسـول الله والفِقـهُ دَأْبُـهُ   يُصنِّفُـهُ في ذا وهـذاك يَـرْويـهِ[3]
يَرى الموتَ يحيى في إماتة بِـدْعةٍ   وكم سُنَّـة أحيى بِحُسْنِ مَسـاعِيْـهِ
شكى فَقْدَه عِلْمُ الحديث وحِفْـظُه   وأهلوه والكتبُ الصِّحـاح وقـارِيْـهِ
ولاحَ عـلى وَجْـه العـلوم كـآبـةٌ   تُخْبِـرُ أنّ الـدِّين قـد مـات مُحْيِيْـهِ
إذا عُـدِم الإسـلامُ أَشـرفَ أهلِه   فلا غَرْوَ أنّا في المُصاب نُعـزِّيهِ[4]

شعر لابن أبي الحارث الأنصاري

وقال الفقيه سليمان بن أبي الحارث الأنصاري الحنفي:

[من الطويل]

---

(١) الأعراض: واحدها (العِرْض)، وهو: البدن أو النفس، وهـو ما يمـدح ويُذم من الإنسان □ والأغراض: المقاصد والغايات.
(٢) سَمِيُّه: موافِقُه في اسمه، أو نظيره.
(٣) دأبُه: شأنه وعادته.
(٤) لا غرو: لا عجب.

مصابٌ أصاب القلب للجفن أَرقا — وخَطْبٌ أتى بالحزن للصبر فَرَّقا[1]

ورِزْءٌ تَغَشّى المسلمين بـأَسْـرِهِم — وسَهْمٌ إلى عَيْن الشريعة فُوِّقا[2]

ولم يعـدُ قلب الشـافعيـة فضله — وإنْ كـان قد عمّ الـطوائف مُطْلقـا

وضاق الفضاء الرّحب حتى لقد غدا — كسُمِّ خِيَـاطٍ أو من السُّم أضيقا[3]

بمن كـان حليّـاً للزّمـان وأهـلِهِ — وعِقْدَ نظامِ العِلْم والحِلْم والتُّقى[4]

إذا ما انتضاه الشرع من أَجْل حادثٍ — فَرَى هامـةَ الخَطْب الجسيم وفـرّقا

فـأصبحت الأقـطار والكـونُ كلُّه — لِفَقْدِك مُحيي الدينِ بِيْداً سَمْلَقا[5]

فـأَرثيْـكَ لا أنّي ظننتُـك ميِّتـاً — وكيف وإحيـاء العلوم هـو البَقـا

«أبـا زكـريّـا» أليس للمـرْء ملْجـأٌ — يَـرُدّ الـرَدَى عنـه ولـو جَـرَّ فيْلَقا

«أيحيى» لو انّ الموتَ يُثْنيه عن فتىً — ثبـاتُ جَنَان لانْثَنى عنـه أخْـرَقَـا[6]

وما مَدَّ صَـرْفُ الدّهـرِ نحوَكَ بـاعَهُ — ولا ضَمَّ جَنْبَيْكَ الصّفيحُ مُـطْبَقا[7]

وكيف يُواري المرءُ عَلَمـاً غدا بـه — على سَعَـةٍ صـدرُ البسيـطة ضيّقـا

فَـطُوبَى لِقبْـرٍ ضَمّـه فلَقْـد غَـدا — يُبـاهي بـه دارَ المُقـامـةِ والبَقـا

وقال الفقيه أبو عبدالله محمد الميلمي أحد فقهاء النّاصرية بدمشق : شعر لأبي عبدالله الميلمي

[من الكامل]

سُبُـلُ العُلوم تقـطّعتْ أسبـابُهـا — وتعـطّلت من جُلّهـا طُـلاّبُهـا[8]

---

(١) الأرق: امتناع النوم على المرء.

(٢) فوِق السهم: كان بأحد طرفي فُوقه مَيْل أو انكسار، و(الفُوق): من السهم: حيث يثبت الوتر منه.

(٣) سُمّ الخِيَاط: ثقب الإبرة.

(٤) الحليّ: البالغ الجودة والحلاوة.

(٥) السّمْلَق: القفر الذي لا نبت فيه.

(٦) الجنان: القلب، أخرقا: مدهوشاً متحيّراً.

(٧) صرف الدهر: نوائبه □ الصفيح (هنا): حجارة رقيقة عريضة، كناية عن القبر.

(٨) جُلّها: مُعظمها.

لمصيبةٍ عَزَّ العزاء لها كما | في الناس قد جلّتْ وجَلّ مُصابُها
يا أيها الحَبْر الذي مِنْ بعده | كلُّ الفضائل غُلِّقت أبوابُها
أضحى على الدنيا لِفَقْدكِ وحْشةٌ | ما اعتادَها من قبلِ ذا أربابُها
مُسوَّدَةٌ أيامُها مُتغيِّرٌ | أحوالُها مُستوحِشٌ محرابُها
لِلّه أيُّ بِحار فَضْلٍ غُيِّضت | من بعد ما زخَرَتْ وعَبَّ عُبابُها[1]
مَنْ للمسائل أَعْضَلَتْ من للفتا | وى أشْكَلَتْ عن أن يُردّ جوابُها
مَنْ لِلتُّقى مَنْ للحَيا مَنْ لِلْحَجَى | طُوِيَتْ لِفَقْدِ أَلِيْفها أثوابُها[2]

من قصيدة لأبي الفضل الكاتب

وقال أبو الفضل يوسف بن محمد بن عبدالله الكاتب، قارىء دار الحديث، من قصيدة يرثي فيها أشياخه، بعد ذكر ابن الصلاح والسخاوي وأبي شامة وغيرهم:

[من الكامل]

وكذاكَ مُحيي الدين فاق بِزُهدِهِ | وبفقهِهِ الفقها مع الزُّهّادِ
القانت الأوّاب والحَبْر الذي | نَصَر الشَّريعةَ دائماً بجهادِ
تَبْكيْهِ دارٌ للْحديثِ وأهلُها | لِخُلُوِّها من فضْلهِ المُعتادِ
لم يَبْقَ بعدَكَ للصّحيح مُعرِّفٌ | قد كُنْتَ فيه جِهْبِذَ النُّقّادِ[3]
من ذا يُبيِّن مُسْنداً من مُرْسَلٍ | أو مِن حديثٍ عُدّ في الأفرادِ
أو كان مقطوعاً ضعيفاً مُعضَلاً | أو كان موضوعاً لِذي الإلحادِ
أو من يبيِّن مُنكراً في مَتْنِهِ | أو من يعرِّف عِلّة الإسْنادِ

(١) غُيِّضت، (غاضت): نزلت وغابت في الأرض □ عبّ البحر عُباباً: ارتفع موجه واصطخب.
(٢) الحَجَى: السِّتر، أو العقل.
(٣) الجِهْبِذ: الخبير بغوامض الأمور.

من ذا لِدفعِ المنكَرات وقد غَدَتْ ... بيْـن الأنـامِ كثيـرةَ التَّردادِ
ونَصَـرْتَ دِين الله وحـدَك جاهـداً ... ودَفَعْتَ عنـه شُبهـةَ المُـرّاد[1]

شعر للعفيف التلمساني

وقال العَفيفُ التِّلِمْسانِي[2]:

[من الطويل]

نعم بعد«يحيى» معهدُ الفضلِ دارِسُ ... فما انْتصَفَتْ إن لم تَنُحْه المدارسُ
فيا صَبْرُ مُتْ عندي ويا حزن فَلْتَعِشْ ... فـإنّ النّواوي قَدْ حَوَتـه النّواوِسُ
بَكَتْـهُ مساعيـه التي بَـدَتِ الأُلَـى ... سَعَوْا لِلْعُلى في أرضِهِم وهو جالسُ
ونـاحت عليـه ورق أوراقـه ومـا ... لها من سوى الأقلام تصبو نـوايس
وأُقْسِم مـا نَفْسٌ بكتـه نفيسـةٌ ... إذا لم تساعدهـا الدّمـوع النّفائسُ
تلهّب قلبُ البـرقِ والرّعـدُ صارخٌ ... أسىً ودمـوعُ الغـادِيـات بَـواجِسُ
وظَلَّ وباتَ اللؤلؤُ الـرَّطبُ حاسـداً ... مـدامـع فيهـا دُرُّهـا مُتجـانِسُ
وَمَثْوَى الذي فيه فقد حَسَـد الثرى ... فمـاذا عَسَى فيه تقـولُ المجـالسُ

---

(١) المراد، واحدها: مـارد: أي طاغية.

(٢) عفيف الدين، أبو الرّبيع سليمـان بن علي العابـدي ثم التلمساني، الشـاعر المتقن المتفنن في علوم، منها النحو والأدب والفقه والأصول، وله في ذلك مصنفات، وله ديوان مشهور. وقد نُسب هذا الرجل إلى عظائم في الأقوال والاعتقـاد في الحلول والاتحاد والزندقة والكفر المحض. من شعره قوله:

إن كـان قـتلي فـي الهـوى يتعـيّـن ... يـا قـاتلي فبسيف طـرْفـك أهـون
حسبي وحسبـك أن تكـون مـدامعي ... غـسلي وفـي ثـوب السقـام أكـفّـن
عـجبـاً لـخـدّك وردة فـي بـانـه ... والـورد فـوق البـان مـا لا يمكن
أدنتـه لي سنـة الكـرى فـلثمتـه ... حتى تبـدّل بـالشقيـق السـوسـن
ووردت كـوثـر ثـغـره فحسبـتـنـي ... فـي جنـة من وجـنـتيـه أسـكـن
مـا راعـنـي إلّا بـلال الخـال مـن ... خـدّيـه فـي صبـح الجنين يـؤذن

توفي سنة ٦٩٠ تسعين وستمائة. (فوات الوفيات: ٢/٧٢، البداية والنهاية: ١٣/٣٢٦، شذرات الذهب: ٥/٤١٢).

لـقـد كـان «يحيى» مُسْهَداً وجَفْنٌ سميرُ النّجم من الأُفْقِ ناعِسُ
ويَطْوي على الدّاء الدّفين من الطَّوَى أَضَالِعَ ما فيها سِوى الذكر هاجسُ[1]
ويُرضي جليسَ الخيرِ مُمتعُ بَحْثِهِ فينقادُ لِلْحقّ المماري المُمارِسُ[2]
فإنْ تضحكِ الأخرى سُروراً بمثلهِ فوجهُكِ يا دُنيا من الفَقْد عابسُ[3]
وكُنتِ به مثْلَ العروسِ فأصبحتْ لَدَيْه من الحُوْر الحِسَان عَرائِسُ
فِللّهِ غُصنٌ عندما تَمَّ زهرُهُ وأيْنَعَ أضْحى رطبه وهو يابسُ
وبدرُ تمامٍ والبدورُ متى تَغِبْ تُرَجَّى وهذا منه قلبي آيسُ[4]
فأقْسم ما النُّعْمَى بها القلبُ ناعمٌ عليه ولا البُؤْسى بها القلبُ بائسُ
وهَيْهات لو أنّي صديق ومات لم أعشْ بعده لما حَوتْهُ الرَّوامِسُ[5]
فيا دهرُ هل كانت مَنَاياه أكْؤساً مُلِئْتَ بها سُكْراً فرأْسُكَ ناكِسُ
ويا كُلَّ يوم بعده صارَ ليلةً أَمَا تَنْجلي بالصُّبحِ عنك الحنادِسُ[6]
لقد أَجْفَلَتْ عُرَى المَسائلِ بعدَه وعَهْدي بها مِن قبلُ وهي أَوانِسُ[7]
تطارد منهن الشرود كأنَّها مهاً يُريدُها بالقِسيّ الفَوارِسُ[8]
ولو أنّه فينا لعُدْنا وكُنَّسُ الجواري لدينا لا الظِّباءُ الكوانِسُ[9]

---

(١) طَوَى على الأمر: لم يظهره، والطَّوى: الجوع □ أضالع = ضلوع: وهي عظام الصدر.

(٢) المماري: المجادل والمناظر، والممارس: المساوم اللّجوج.

(٣) الأخرى: أي الدار الآخرة.

(٤) تُرجى: يُرتقب ظهورها من جديد.

(٥) الروامس: القبور.

(٦) الحنادس: واحدها: الحِنْدِس، وهو: الليل الشديد الظلمة.

(٧) أجفلت: شردت ونفرت ومضت سريعاً □ العُرْى: (فَرَس عُرْيٌ): لا سَرْج عليها.

(٨) مهاً: واحدُها: مَهاة، وهي البقرة الوحشية □ القسيّ: أي الأقواس (واحدها: القوس).

(٩) الكِناس: مولج في الشجر يأوي إليه الظبي ليستتر، و(الجواري الكُنّس): هي النجوم، لأنها تكنس كالظباء: تغيب وتستتر، تبدو ليلاً وتختفي نهاراً.

لــهُ في رســولِ الله والآلِ أُسْــوَةٌ وأصحــابُـه عنهم تقـوى العـوادس
أَبَــوْا أن يَؤُبُـوا نحــو دُنيــا دنيَّــةٍ مـلابسـه تَعْــرَى بهـا وهــو لابِسُ
وكـيـف تـبـكـيــهِ وتَـعْــلمُ أنّــه على مـا إليـه صـار كـان يُنــافَسُ

خاتمة
مشتملة على فوائد

الأُوْلى: روى الحاكم في المُستدرَك[1]، وأبو داود، وغيرهما، عن أبي هُريْرة، عن النّبيّ ﷺ، قال: «إنّ اللّهَ يَبْعثُ لهذه الأمّة على رأسِ كُلِّ مائةِ سَنَة مَنْ يُجدِّد لها دِيْنَها».

قال الإمام أحمد: فكان على رأس المائة الأُولى عُمر بن عبدالعزيز، وعلى رأس المائة الثانية الإمام الشّافعيّ. قالوا: وعلى رأس المائة الثالثة أبو العباس بن سُريج، وقيل الأشعري، والرابعة أبو الطيّب سهل الصّعلوكي، وقيل الشيخ أبو حامد إمام العِراقيّين، والخامسة الغزالي، والسّادسة الفخر الرّازِيّ، وقيل الرّافعيّ، والسّابعة ابن دَقِيْق العِيْد. هكذا ذكره ابن السبكي في الطبقات[2].

قلتُ: وقد ذكر شيخ شيوخنا زيْن الدّين العراقي، في ترجمة جمعها للشيخ جمال الدين الأَسْنوي، أنّه المبعوث على رأس المئة الثامنة، فالشيخ مُحيي الدين أحقّ بأن يكون على رأس المائة السابعة، بل هو أقرب إلى القرن من الأسنوي، فإنّ وفاته كما تَقَدّم، سنة ست وسبعين، ووفاة الأسْنويّ سنة ثلاث وسبعين، وفي ظَنِّي، أنّ الشيخ

---

(١) المستدرك على الصحيحين: ٤/٥٢٢ (واللفظ: إلى هذه الأمّة).

(٢) طبقات السبكي: ١/٢٠٠.

زين الدين العراقي نَقَلَ في ترجمته المذكورة، أن بعضهم ذكر ذلك في شأن النّوويّ، وأنّه قَاسَ الأسْنوي عليه من حيث تأخُّر زمَنِه على رأس القـرن. وقيل إنّ المبعـوث على رأس المائـة الثامنـة، شيخ الإسـلام سراج الدين البُلْقيني.

وقد نُظم في مَن تَقَدّم أبياتٌ مُفرَّقة، فقـال بعضُهم يخاطِب ابن سُريج[1]:

[من الكامل]

إثْنـانِ قـد مَضَيـا فَبُورِكَ فيهمـا　　عُمَـرُ الخليفـةُ ثـم حِلف السـؤدد
الشـافعـيُّ الألْـمَعِـيُّ مـحـمّـدُ　　إرْثُ الـنبـوّة وابـن عمِّ مُـحـمّـدِ
أبْشِـرْ أبـا العبّـاس إنـك ثـالثٌ　　مِنْ بعـدِهِم سُقْيـاً لِتُـرْبَـةِ أحمَـدِ

وقال بعضُهم مُذيِّلاً[2]:

[من الكامل]

والـرّابـعُ المشْهـورُ سهـلُ محمـد　　أضحى إمـامـاً عنـد كُـلِّ مُـوحِّـدِ
يـأوي إليـه المسلمـون بـأسْـرِهـم　　في العِلْم[أرجـا والخطيب] مؤيِّدِ[3]
[لا زلْتَ] فيمـا بيننا [خيـرَ الوَرَى]　　لِلْمَـذْهـبِ المُختـارِ خيـرَ مُجَـدِّدِ[4]

---

(١) الإمـام العلاّمـة، شيخ الإسـلام، القاضي أبـو العباس أحمـد بن عمـر بن سُريـج البغدادي، شيخ الشافعية في عصره، وعنه انتشر فقه الشافعي في أكثر الآفاق. قال الشيخ أبو إسحاق: «كان ابن سريج يفضـل على جميع أصحـاب الشافعي، حتى المزني». وقال الشيخ أبو حامد (الأسْفرايني): «نحن نجري مع ابن سريج في ظواهر الفقه دون دقائقه». بلغت مصنفاته أربعمائة تصنيف. مات سنة ٣٠٦ ست وثلثمائة. •(تـذكرة الحفـاظ: ٨١١/٣، طبقـات الأسنوي: ٢/ ٢٠). والأبيات في المستـدرك ٥٢٣/٤، والتذكرة: ٨١٣/٣، وغيرهما.

(٢) الأبيات في المستدرك: ٥٢٣/٤، وطبقات السبكي: ١/ ٢٠٠.

(٣) في المستدرك: [إن خرجوا فنِعْم].

(٤) في المستدرك: [لا زال] و[شيخ الورى]، وعند السبكي: لا زال فيما بيننا حبر الورى.

وقال الشيخ تاج الدين السبكي مُذيِّلاً[1]:

[من الكامل]

ويقــال إن الأشعـريّ الثـالثُ الـ ـبمعـوثُ للدِّين القَـويم الأيَّـدِ
والحقُّ ليس بمُنكِـرٍ هـذا ولا هـذا وعلّهُمـا أمْـران فَعَـدِّدِ
هـذا لِنُصْـرَة أَصْـل دِيْن مُحمّـدِ كَنظِيْـر ذلك في فُرُوعِ مُحمّـدِ
وضـرورةُ الإسـلام داعيـةٌ إلى هـذا وذاك لِيَهْتَـدِي مَنْ يَهْتَـدي
وقَضَى أُنـاسٌ أن أحمدَ الأسْفـرا يِنِـيَّ رابعـهُم ولا تستبعِـدِ
فَكِلاهُما فَرْد الوَرى المعْدودُ مِن حِزْبِ الإمامِ الشّـافعيّ مُحمّـدِ
والخـامسُ الحَبْرُ الإمـام محمّـد هـو حجّة الإسـلام دون تـردُّدِ[2]
وابن الخطِيْب السادسُ المبعوث إذ هـو للشّريعـةِ كـان أيَّ مُؤَيِّـدِ
[والـرافعيُّ كمِثْلِهِ لـولا تـأخـ ـر موتِـهِ كـالأشعريِّ وأحمـدِ]
والسّـابع ابن دَقِيْق عِيْـدٍ فاسْتَمِـعْ فـالقَـوْمُ بين محمّـدٍ أو أحمـدِ
[إن نتفِ عن عبدالكريم والأشعر يّ وسهلٍ المأثورِ في ذا المسنِدِ]
وانْـظر لِسـرِّ الله أنّ الكُـلَّ مِـنْ أصحابِنا فافْهَمْ وأَنْصِفْ تُرْشَـدِ[3]
هـذا على أنّ المصيب إمـامنـا أَجْلَى دَليـلٍ واضحٍ للمُهْتَـدي
يـا أيُّهـا الرجُـل المُـريدُ نجاتَـهُ دَعْ ذا التعصُّب والمِـراءَ وقَلِّدِ
هـذا ابن عمِّ المُصْطَفى وسَمِيُّـهُ والعـالِمُ المبعـوثُ خيـرَ مُجـدِّدِ
وَضَـحَ الهُـدى بكـلامـهِ وبِهـديـه يا أيّها المسكينُ لِم لاَ تَقْتَدِي[4]

وقلت أنا مُذيِّلاً:

[من الكامل]

ويُقـالُ إنّ السّادسَ الشيخَ الإمـامَ الـرّافعي وليس بُمستَبْعَـدِ[5]

---

(١) طبقات السبكي: ١/٢٠٢.

(٢) يقصد به الإمام الغزالي رضي الله عنه.

(٣) في طبقات السبكي: فانظر.

(٤) لم لا تهتدي: عند السبكي.

(٥) ولعله: (بالمستبعد)، كي يستقيم ميزان البيت.

فهو المُجدِّدُ للفروعِ وذلك المُحيي حقيقاً أصلَ دِيْنِ محمّدِ
والسابعُ الشيخ النّواوِيُّ الذي قد حَرَّرَ الدِّين الرّضِيّ لِلْمُقْتدِي
والثّامنُ الشيخ الجمال الأسْنويّ مُنَقِّحُ الأَحْكامِ لِلْمُسْترشِدِ
والعالِمُ الأَسْمَى سَراجُ الدِّين ذو بلْقِيْنةٍ نَقلُوا ولا تَسْتَبْعِدِ
فكلاهُما شيخا أولاء العصر قد كان لأهل الدِّيْن أفضلَ مُرشِدِ
والحقُّ أن المبعوث لا يختص فرداً عنده عن مُفْرَدِ
بل كلُّ حَبْرٍ كان مَوْجوداً فهو ما قد أراد به حديثُ المُرشِدِ[1]
ودليله أنّ الغموس لمن يري مفادها للجمع أظهر فاهتدِ[2]

الثانية: في سِلْسِلة الفقه للشيخ.

قال الشيخ في تهذيب الأسماء واللغات[3]: «وهذا مِنَ المطلوبات والنفائس الجليلات، التي ينبغي للمُتَفَقِّه والفقيه معرفتُها، [ويقبح][4] جهالتها، فإن شيوخه في العلم آباء في الدين، [ووَصْلة][5] بينه وبين ربّ العالمين. وكيف لا يقبح جهل [الأنساب][6]، والوصلة بينه وبين ربِّه الكريم الوَهّاب، مع أنه مَأمور بالدّعاء لهُم وبرِّهم، وذِكْر مآثرهم، والثناء عليهم، فأَذْكُرُهُم مِنِّي إلى رسول الله ﷺ، وحينئذٍ يعرف من كان في عصرنا وبعده طريقه باجتماعها هي [وطريقي][7] قريباً».

---

(١) حديث رسول الله ﷺ، وقد تقدّم.
(٢) الغموس: الشجاع، أو الشديد من الرجال.
(٣) تهذيب الأسماء واللغات: ١٧/١.
(٤) في التهذيب: وتقبح به.
(٥) في التهذيب: وصِلَة.
(٦) في التهذيب: الإنسان.
(٧) في التهذيب: طريقتي.

قال(١): «فأمّا أنا فأخذتُ الفقه قراءةً وتصحيحاً وسماعاً وشرحاً وتعليقاً، [من جماعة](٢)، أوّلهم شيخي الإمام أبو إبرهيم إسحاق بن أحمد المغربي، ثم شيخنا عبدالرحمن بن نوح المقدسي، ثم شيخنا أبو الحسن سلّار بن الحسن الإربلي. وتفقّه شيوخنا الثلاثة الأوّلون على الإمام أبي عمرو بن الصلاح، وتفقّه هو على والده [وتفقه والده](٣) في طريقة العراقيّين، على أبي سعيد بن أبي عصرون، وأبو سعيد على أبي علي الفارقي، والفارقي على الشيخ أبي إسحٰق الشيرازي، والشيخ على القاضي أبي الطيّب الطبري، والقاضي على أبي الحسن الماسرجسي، وهو على أبي إسحٰق المروزي، وهو على أبي العباس بن سريج، وهو على أبي القاسم الأنماطي، وهو على المُزني، وهو على الشافعي، وهو على مالك، وهو [على ربيعة ونافع، وهما على ابن عمر](٤)، عن النبيّ ﷺ».

قال(٥): «وأمّا طريقة الخرسانيين، فأخذتها عن شيوخنا المذكورين، عن ابن الصلاح، عن والده، عن أبي القاسم بن البزري [الجزري، عن أبي الحسن علي بن](٦) الكِيًّا، عن أبي المعالي إمام

---

(١) المصدر السابق: ١٨/١. (نقلَه السيوطي مجتزئاً من الأسماء، ومجرِّداً إيّاها عن الألقاب أو عبارات الثناء والإجلال التي ذكرها النووي في التهذيب، ولم أُشر إلى هذا الاختلاف في الحاشية).

(٢) في التهذيب: عن جماعات.

(٣) [ ]: ساقط في الأصلين، وإثباته من التهذيب.

(٤) في التهذيب: [على ربيعة عن أنس، وعلى نافع عن ابن عمر، كلاهما].

(٥) المصدر السابق: ١٩/١.

(٦) ساقط في الأصلين، وإثباته من التهذيب.

الحَرَمَيْن، عن والده، عن أبي بكر عبدالله بن أحمد القفال [المروزي][1] الصغير، عن أبي زيد المروزي، عن أبي إسحاق المروزي، عن ابن سُريج، بسنده السابق».

قال[2]: «وتفقّه شيخنا سلّار على الإمام أبي بكر الماهاني، وهو على ابن البزري، بطريقهِ السابق». انتهى.

قلت: وأنا أخذت الفقه عن جماعة، أجلّهُم شيخنا قاضي القضاة شيخ الإسلام سراج الدين عمر بن سلّار البلقيني، وهو عن جماعة، منهم الشيخ شمس الدين بن عذلان، وهو عن الوجيه عبدالوهاب بن حسن البهنسي، وهو عن البهاء الجميزي، وهو عن أبي عصرون بطريقه السابق. فباعتبار طريقنا هذا، كأن شيخي أخذه عن النّووي.

الثالثة: في نِسْبة الشيخ الحِزاميّ.

قال ابن العطّار: ذكر لي الشيخ قدّس الله روحه، أن بعض أجداده كان يزعم أنها نسبة إلى حكيم بن حِزام. قال الشيخ: وهو غلط، بل إلى حِزام، جَدّ لنا نَزَل الجولان بقرية نَوى على عادة العرب، فأقام بها ورزقه الله ذُريَّة إلى أن صار منهم خَلْقٌ كثير.

الرابعة: نَوَى.

فيها يقول بعضُهم[3]:

[من الكامل]

لقيتِ خيراً يا نَوى   وكُفيتِ من شرِّ النَّوى

---

(١) ساقطة في الأصلين، واستدركناها من المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق: ١/١٩.

(٣) القائل هو ابن الوردي، والأبيات في تاريخه (تتمة المختصر في أخبار البشر ٢/٣٢٣) كالآتي:

فلقد نشا بكِ عالِمٌ ... لِلّه أظهرَ ما نَوى
وعلى عداه فضلُه ... فضلُ الحبوبِ على النَّوى

والنسبة إليها: نَووِيّ، بحذف الألِف بين الواوين على الأصل، وقَلْب الألِف الأصليّة واواً. ويُقال: نَواوِيْ، بتخفيف الياء والألِف بدلاً عن إحدى ياء النّسب، كما يُقال: يَمَني ويماني، بتخفيف الياء في الثانية. ورأيت كِلا الأمْرَين في خطِّه رحمه الله تعالى.

ورأيت في تعليقة للقاضي عزّ الدين بن جماعة، بخطِّه:

قال ابن العطّار:

لمّا ودّعت الشيخ محيي الدين النّووي بِنَوى، حين أردت السَّفَر لِلحَجّ، حمَّلَني السلامَ إلى الإمام أبي اليُمن بن عساكر، فلمّا بلّغتُه سلامَه، ردّ عليّ وسألني: أين تركتَه؟.

فقلت: بِبَلدة نَوى. فأنْشدني:

[من الكامل]

أمُجْمِعِينَ على نَوى اشتاقكم ... شوقٌ يجدّدُ لِي الصَّبابة والجَوَى[1]
فأروم قربكُمُ لأنيّ مُرْتَجٍ ... يـ سادتي قربَ المُقيم على نَوى

= لقيت خيراً يا نَوى ... وحُرِست من ألم النوى
فلقد نشا بك زاهد ... في نعمه أخلص ما نَوى
وعلى عداه فضلُه ... فضلُ الحبوب على النَّوى
(نوى: مسقط رأس الشيخ □ النَّوى: البُعد. أو التحوّل من مكان إلى آخر □ نشا = نشأ □ نوى: قصد وعزم □ النّوى: عجم التمر والزبيب ونحوهما، أو بذره، واحدها: نواة. ولعل الوزن الشعري يستدعي واواً في ابتداء البيت الأول: ولقيتِ).

(١) مُجمعين على نوى: عازمين على الرحيل فيه □ الجوى: شدّة الوجْد من حب أو حزن. ولعل الأصوب أن يقال: أي مجمعين أو: يا مجمعين، ليستقيم ميزان البيت.

الخامسة: والد الشيخ، الشيخ شرف.

ذَكَـرَ الصلاح الصفدي في تاريخه إسناد حديث الشيخ رحمه الله تعالى، أخبرني شيخ الإسلام عَلَم الدين البلقيني إجازة عن والده، عن الحافظ أبي الحجّاج المِزّي، أنبأنا الإمام أبو زكريّا النّوويّ، أنبأنا الإمام ابن قدامة المقدسي، حدّثنا أبو حفص بن طبرزد، حدث وكتب إليّ عالياً بدرجتين أبو عبدالله الحلبي، عن الصلاح بن أبي عمرو، عن أبي الحسن بن البخاري، أنبأنا ابن طبرز، أنبأنا أبو محمّد الجراحي، أنبأنا أبو العباس المحبوبي، أنبأنا أبو عيسى الترمذي، أنبأنا عبدالله بن أبي زياد، أنبأنا سيار، أنبأنا عبدالواحد بن زياد، عن القاسم بن عبدالرحمن، عن أبيه، عن ابن مسعود[1]، قال:

قال رسول الله ﷺ: «لقيت إبراهيم حين أُسري بي، فقال: يا محمّد أقْرِىء أُمّتك مِنّي السلام وأَخْبِرهم أنّ الجنّة طيّبةُ التّربة، عذبةُ الماء، وأنها قِيعانٌ، وأن غِراسها سُبحانَ الله والحمدُ لله، ولا إله إلاّ الله، والله أكبرُ». قال الترمذي: حديث حسن.

قال الشيخ في التهذيب[2]:

---

(١) كذا وردت السلسلة في كتاب السيوطي، ولقد رأيتها في التهذيب للنووي (١/ ١٠٠) كالآتي: «أنبأنا الإمام ابن قدامة المقدسي، حدثنا أبو حفص بن طبرزد، أنبأنا أبو الفتح الكروخي، أنبأنا القاضي أبو عامر، أنبأنا محمد الجراحي، أنبأنا أبو العباس المحبوبي، أنبأنا أبو عيسى الترمذي، حدثنا عبدالله بن أبي زياد، حدثنا سيار، حدثنا عبدالواحد بن زياد، عن عبدالرحمن بن إسحق، عن القاسم بن عبدالرحمن، عن أبيه، عن ابن مسعود».

(٢) تهذيب الأسماء واللغات: ١/ ١٠١.

«قد مَنَّ الله الكريم علينا [أن][1] جعل لنا رواية متصلة وسبباً متعلقاً بخليله إبراهيم ﷺ. [كما منّ علينا بذلك في حبيبه وخليله وصفيِّه محمد ﷺ][2].

أخبرني أبو الفضل محمد بن عمر، أنبأنا علي بن إبراهيم، أنبأنا يحيى بن شرف الفقيه، أنبأنا خالد بن يوسف، حدّث وكتب عن أبي الحسن بن البخاري، قالا: أنبأنا أبو اليُمن الكِنْدي، أنبأنا المبارك بن الحسين، أنبأنا علي بن أحمد، أنبأنا محمد بن عبدالرحمن، أنبأنا عبدالله، حدثنا شيبان، حدّثنا حمّاد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «من طلب الشهادة صادقاً من قلبه، أُعطيها ولو لم تُصِبْه». أخرجه مسلم[3].

وقد ختمنا بهذا الحديث كتابنا، رجاءَ أن يختمَ اللّهُ لنا بالشّهادة، وأن يجعلنا من الذين لهم الحُسْنى وزيادة.

آخر الكتاب

(١) [و]: في المصدر السابق.

(٢) ساقط في الأصلين، واستدركناه من المصدر السابق، وقد جاء الكلام هذا ـ في مصدره ـ عند ابتداء الحديث الذي سلف، وليس في ختامه.

(٣) صحيح مسلم، (كتاب الجهاد).

وكتب الناسخ في (E):

قال مؤلّفه: «فرغت من تأليفه يوم السبت ثالث عشر صفر سنة إحدى وسبعين وثمان مائة، والحمدلله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم».

ووافق الفراغ من كتابته يوم الثلاثاء المبارك ثاني شهر صفر الخير من شهور سنة خمسة وتسعين وتسعماية، على يد العبد الضعيف الحقير الفقير المعترف بالعجز والتقصير الراجي عفو ربه الكريم السرمد، محمد بن أحمد المقريء، الشهير بالمديني، المصري بلداً، الأزهري موطناً، الشافعي مذهباً، لطف الله به ورحم والديه ومشايخه، وغفر له ولهم ولجميع المسلمين. آمين يا رب العالمين، آمين.

وحسبُنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلّا بالله العليّ العظيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصبحه وسلّم تسليماً كثيراً دائماً إلى يوم الدين، آمين.

وكتب في (B):

وهذا آخره والله أعلم. اللهم صلِّ على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلّم، آمين.

تمّت، وبالخير عمّت على يد كاتبها لنفسه، غفر الله له ولوالديه، الفقير عبدالرحمن، يوم السبت الثالث من شهر ذي الحجة الحرام، الذي هو من شهور سنة ألف ومايتين وواحد.

ثبَت المصادر والمراجع

١ ـ ابن إياس، محمد بن أحمد الحنفي

● بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق: محمد مصطفى، نشر: فرانز شتاينر، فيسباردن (النشرات الإسلامية: هـ. ريتر، أ. ديتريش)، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٣٧٩ هـ ـ ١٩٦٠ م.

٢ ـ ابن حجر، شهاب الدين أحمد بن علي العسقلاني

● إنباء الغمر بأبناء العمر، من مطبوعات دائرة المعارف العثمانية، بإعانة وزارة المعارف للحكومة الهندية، بمراقبة د. محمد عبدالمعيد خان، الطبعة الأولى، ١٣٨٩ هـ ـ ١٩٦٩ م.

● الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق: محمد سيد جاد الحق، دار الكتب الحديثة، القاهرة.

٣ ـ ابن حنبل، أحمد

● المسند (بهامشه منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال) المكتب الإسلامي ودار صادر، بيروت.

٤ ـ ابن العماد، أبو الفلاح عبدالحيّ الحنبلي

● شذرات الذهب في أخبار مَن ذهب، دار المسيرة، بيروت.

٥ ـ ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبدالرحيم

● تاريخ ابن الفرات، تحقيق: د. قسطنطين زريق، المطبعة الأميركانية، بيروت، ١٩٤٢ م.

٦ ـ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر

● البداية والنهاية، مكتبة المعارف (بيروت)، ومكتبة النصر (الرياض)، الطبعة الأولى، ١٩٦٦ م.

٧ ـ **ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم**
● لسان العرب، دار صادر ودار بيروت، (بيروت)، ١٣٨٨ هـ ـ ١٩٦٨ م.
٨ ـ **ابن الوردي، عمر زين الدين**
● تتمة المختصر في أخبار البشر (تاريخ ابن الوردي)، تحقيق: أحمد البدراوي، دار المعرفة، الطبعة الأولى، بيروت، ١٣٨٩ هـ ـ ١٩٧٠ م.
٩ ـ **الأسنوي، جمال الدين عبدالرحيم بن الحسن**
● طبقات الشافعية، تحقيق: عبدالله الجبوري، نشر رئاسة ديوان الأوقاف بالجمهورية العراقية، الطبعة الأولى، بغداد، ١٣٩٠ هـ ـ ١٩٧٠ م.
١٠ ـ **البغدادي، إسماعيل باشا**
● إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، المكتبة الإسلامية، الطبعة الثالثة، طهران ١٩٦٧ م ـ ١٣٧٨ هـ.
● هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، بعناية وكالة المعارف باستنبول (١٩٥١)، أعادت طبعه المكتبة الإسلامية والجعفري تبريزي، الطبعة الثالثة، طهران، ١٩٦٧ م ـ ١٣٨٧ هـ.
١١ ـ **الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى**
● الجامع الصحيح (بشرح الإمام أبي بكر ابن العربي)، طبْع عبدالواحد التازي، القاهرة، ١٣٥٣ هـ ـ ١٩٣٤ م.
١٢ ـ **الحموي، ياقوت بن عبدالله**
● معجم البلدان، دار صادر، ودار بيروت، بيروت، ١٣٧٤ هـ ـ ١٩٥٥ م.
١٣ ـ **الحاكم، أبو عبدالله محمد النيسابوري**
● المستدرك على الصحيحين في الحديث (في ذيله تلخيص المستدرك)، مكتبة النصر الحديثة، الرياض.
١٤ ـ **خليفة، حاجي**
● كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مكتبة المثنى، بغداد. و: المكتبة الإسلامية والمكتبة الجعفري بطهران، الطبعة الثالثة، ١٣٨٧ هـ ـ ١٩٦٧ م.

١٥ ـ الدقر، عبدالغني

● الإمام النووي، (أعلام المسلمين: ١٠)، دار القلم، الطبعة الثالثة، دمشق، ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧ م.

١٦ ـ الذهبي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد

● تذكرة الحُفّاظ، من مطبوعات دائرة المعارف العثمانية، دار إحياء التراث العربي، الناشر: محمد أمين دمج، الطبعة الرابعة، بيروت.

١٧ ـ الزركلي، خير الدين

● الأعلام، قاموس تراجم، الطبعة الثالثة.

١٨ ـ السبكي، تاج الدين عبدالوهاب بن علي

● طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمود الطناجي وعبدالفتاح الحلو، مطبعة البابي الحلبي، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٣٨٣ هـ ـ ١٩٦٤ م.

● طبقات الشافعية الكبرى، طبع عبدالكريم القادري الحسني، المطبعة الحسينية المصرية، الطبعة الأولى.

١٩ ـ السخاوي، شمس الدين محمد بن عبدالرحمن

● ترجمة النووي، بعناية محمود حسن ربيع، جمعية النشر والتأليف الأزهرية، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٣٥٤ هـ ـ ١٩٣٥ م.

● الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار مكتبة الحياة، بيروت.

٢٠ ـ السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن محمد

● حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، طبْع مصطفى فهمي الكتبي، القاهرة.

٢١ ـ الشرقاوي إقبال، أحمد

● مكتبة الجلال السيوطي، دار المغرب، الرباط، ١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧ م.

٢٢ ـ الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك

● الوافي بالوفيات، باعتناء: هلموت ريتر، طبع انتشارات جهنان، طهران.

٢٣ ـ الطنطاوي، علي
● الإمام النووي، (أعلام التاريخ: ٤)، دار الفكر، الطبعة الثانية، دمشق، ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م.
٢٤ ـ الكتبي، محمد بن شاكر.
● فوات الوفيات والذيل عليها، تحقيق: د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٣ م.
٢٥ ـ كحالة، عمر رضا
● معجم المؤلفين، تراجم مصنِّفي الكتب العربية، مكتبة المثنى ودار إحياء التراث العربي، بيروت.
٢٦ ـ مَجْمَع اللغة العربيّة
● المعجم الوسيط.
٢٧ ـ مسلم، أبو الحسين بن الحجاج القشيري
● الجامع الصحيح (بشرح النووي)، المطبعة المصرية ومكتبتها، القاهرة.
٢٨ ـ المطبعة الكاثوليكية
● المنجد في اللغة والأعلام.
٢٩ ـ النووي، محيي الدين يحيى بن شرف
● التبيان في آداب حملة القرآن، دار الفكر.
● تهذيب الأسماء واللغات، نشر إدارة الطباعة المنيرية.
٣٠ ـ اليافعي، أبو محمد عبدالله بن أسعد
● مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

المحتــوى

الموضوع	الصفحة

المنهاج السوي في ترجمة الإمام النووي